اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان
في القرآن الكريم
(الإعجاز والتفسير)

د/ محمد سامي عبد السلام حسانين

اسم الكتاب: اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان في القرآن الكريم
(الإعجاز والتفسير)
المـــــؤلف: د. محمد سامي عبد السلام
الناشـــــر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع
تصميم الغـلاف: محمد فـاروق
التجهيزات الفنية: حسام أنيس

٢٥ شارع شريف- القاهرة
Email: adel.metwaly69@yahoo.com
٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٣٧٣
الترقيم الدولي: ٢-٤٩-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

عبد السلام ، محمد سامي.
اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان في القرآن الكريم: الإعجاز والتفسير/ محمد سامي عبد السلام- ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ .
١٦٠ص؛ ٢٤سم.
تدمك: ٢-٤٩-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨
١- الحيوانات في القرآن.
أ- العنوان.

٢٢٩.٤٥٩١

اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان
في القرآن الكريم
(الإعجاز والتفسير)

د/ محمد سامي عبد السلام حسانين

بورصة الكتب

الطبعة الأولى ٢٠١٤

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾

[الإسراء : ٩]

إهداء

إلى مَن بهما عرفتُ الحُبَّ والفضلَ

أبي وأمي

المُقدِّمة

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، فاستعمل الألفاظ التي استعملوها في كلامهم، ولذلك جاء استعماله للألفاظ بمعانٍ موافقة للمعاني التي جعلوها لتلك الألفاظ ، ولا ريب في ذلك ، إذ يُفهم الكلام بموافقة معاني ألفاظه المعاني المعروفة عند المخاطب لهذه الألفاظ ، فلفظ (أذن) مثلاً عند الناس هو اللفظ الدالُّ على عضو حاسة السمع ، وكذلك جاء معنى هذا اللفظ في القرآن الكريم، لكن عددًا من الباحثين في أسلوب القرآن الكريم لاحظ أن القران الكريم عندما يستعمل لفظًا ما بمعناه المتداول عند البشر والثابت في المعجم يأتي به في السياق مصحوبًا بدلالة معينة ملازمة له في جميع المواضع المتعدّدة التي ورد فيها ، مع أنّ لكلّ موضع من هذه المواضع مضمونًا مغايرًا للآخر، فنجد أنّ اللفظ يأتي في القرآن الكريم بمعناه المعروف عند البشر ومصحوبًا بدلالة ثانية في السياق وذلك في جميع المواضع التي يرد فيها اللفظ .

فمثلاً لفظ (أذن) معناه في المعجم عضو حاسة السمع ، وكذلك يستعمله البشر، ولا يختلف هذا المعنى إذا كان اللفظ مفردًا أو مثنًى أو جمعًا، بينما نجد القرآن الكريم يغاير استعمال البشر لهذا الاسم ، فيأتي اسم (أذن) بصيغة المفرد في جميع المواضع متعددة المضامين مع ملازمته دلالة استماع الوحي والانتفاع به ، وهو ما نجده في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٦١] وقوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٢] أما صيغة المثنى (أذنيه) وصيغة الجمع (آذان) فتأتيان في جميع المواضع مع دلالة أخرى هي دلالة نفي السمع يقول تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ ﴾ [لقمان:٧]، ويقول سبحانه: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ [الكهف:١١]، فالقرآن الكريم يستعمل اللفظ بمعجم دلالي خاصٍ يلتزم به في جميع المواضع ويغاير بذلك طريقة استعمال البشر للألفاظ التي سجلتها معاجم اللغة.

وهذا الكتاب يُسمِي هذه الملاحظة باسم : اللزوم الدلالي ، ليكون المقصود به : وجود دلالة تلازم (تصاحب) استعمال اللفظ في جميع مواضعه في القرآن الكريم ولا

تلازم هذه الدلالة اللفظ عند استعماله في غير القرآن الكريم ، فهذه الدلالة الملازمة للفظ في استعمال القرآن الكريم ليست من معاني اللفظ في المعجم .

وأزعم أن العقل البشرى لا يستطيع أن يأتي بمثله بسبب طبيعي (وليس زعمًا من انتماء ديني) هذا السبب هو أن العقل البشرى لا يستطيع على الدوام الاحتفاظ في ذاكرته بالاسم مصحوبًا بدلالة جاءت معه في سياق سابق وليست ملازمة له في الأصل ، ثم لا يستطيع أن يشكّل هذه الدلالة المصاحبة للاسم في السياق السابق ليطوّعها في كل نص يقوله مع مضمون جديد ، فعقل الإنسان يستعمل الاسم بمعناه المعروف في الذهن ، في سياق معين ، ثم بعد فترة من الزمن يستعمل الاسم نفسه بمعناه المعروف في الذهن في سياق آخر بمضمون مغاير للأول ، دون أن يَقدر العقل البشرى على أن يوجد صلة بين السياقين اللذين استعمل فيهما اسم واحد ، فقد استعمل الاسم في السياق الأول مع معانٍ لا يلزم وجودها في السياق الثاني المغاير للأول في المضمون والذي يستعمل الاسم نفسه ، فهو أسلوب تفرَّد به القرآن الكريم ، خاصة وأن الدلالة الملازمة للاسم في القرآن الكريم لا تقع على الاسم ولا تصفه لتكون جزءًا من معناه ، وإنما هي دلالة مصاحبة للاسم في السياق، ففي حقيقة الأمر ليس هذا اللزوم لزومًا دلاليًا للفظ ، وإنما هو لزوم دلالي لسياقات اللفظ المتعددة .

هذه الملاحظة سجَّلها الجاحظ عندما ذكر أن اسم مطر الدال على الماء العذب النازل من السماء والذي يبتهج به الناس لأنه حياة لهم ولأنعامهم ولزروعهم، يأتي في القرآن الكريم مع دلالة معاكسة لدلالته عند الناس ، فيأتي مع دلالته على الهلاك، يقول الجاحظ: ((ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن (الجوع) إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة ، وكذلك كلمة (المطر) لأنك لا تجد القرآن يأتي به إلا في موضع الانتقام))[1] فالجاحظ لاحظ أن القرآن الكريم لايأتي باسم (الجوع) في حالة القدرة والسلامة ، يقول تعالى: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ) (النحل: ١١٢) فالجوع في استعمال القرآن الكريم قرين الخوف والفقر والعقاب، وقد يقال أن الجوع في أصله إحساس بفقد الطعام والعوز إليه فهو قريب في استعمال البشر من استعمال القرآن الكريم له مصحوبًا بدلالة الفقر ، لكن ذلك لا يمنع من وجود مغايرة بين استعمال اسم (جوع) عند البشر واستعماله في

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٤٣/١

القرآن الكريم ، والأظهر منه في وجود مغايرة في استعمال القرآن الكريم للألفاظ عن استعمال البشر لها ؛ اسم (مطر) الذي جاء مع دلالة العقاب مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الشعراء:١٧٣]، واستعمال القرآن الكريم لاسم (مطر) مع دلالة العقاب في موضع أو موضعين قد يكون أمرًا واردًا في استعمال البشر ، لكن العجيب هو ملازمة اسم (مطر) في جميع مواضعه في القرآن الكريم لدلالة العقاب ، ويؤكد ذلك عدول القرآن الكريم عن اسم (مطر) إلى اسم (غيث) أو اسم (ماء) عند دلالة إنزال الماء العذب الذي تحيا به الأرض يقول تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ ﴾ [الشورى:٢٨]، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٢] فالقرآن الكريم يؤكد مغايرة استعماله للفظ عن استعمال البشر بملازمة هذا اللفظ دلالة معينة في جميع مواضع استعماله وليست هذه الدلالة من معانيه عند البشر، فلا تلازمه في جميع المضامين التي يستعمله البشر فيها ، كما يؤكد القرآن الكريم هذه المغايرة بالعدول عن اللفظ عندما لا تأتي الدلالة الملازمة له ، وهو ما يدل على أن استعمال اللفظ في القرآن الكريم يأتي مصحوبًا بدلالة ملازمة له، وكأن للقرآن الكريم معجمًا دلاليًا خاصًا به في استعماله للألفاظ ، فهو ـ مع الحفاظ على معنى اللفظ المعروف عند البشر ـ يأتي بدلالة أخرى مصاحبة له في السياق .

كما يقول السيوطي عن الاستعمال الخاص لبعض الألفاظ في القرآن الكريم: ((الريح ذُكرت مجموعة ومفردة ، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت ، أو في سياق العذاب أفردت)) [1] واستعمال اللفظ مجموعًا مع دلالة تلازمه ، ثم استعمال اللفظ نفسه مفردًا مع دلالة أخرى ، يدلّ على أن هذه الدلالة الملازمة ليست مرتبطة بالمعنى المعجمي للفظ ؛ لأن المعنى المعجمي يلازم اللفظ مفردًا ومجموعًا ، وبذلك لا تكون المسألة مجرَّد تفرقة بين المترادفات كالتفرقة بين المطر والغيث ، لأن التفرقة بين الريح (المفرد) والرياح (الجمع) في الاستعمال ليست من باب التفرقة بين المعاني المعجمية الدقيقة للفظ ومرادفه .

ولا نجد مع هذه الأمثلة الثلاثة (الجوع، المطر، الريح) تنظيرًا لقانونٍ بلاغي أو اصطلاحًا لهذه الملاحظة إلى أن تحدّث د. عبد العظيم المطعني في كتابه "خصائص

(١) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،٣٠٢/٢

التعبير القرآني" في ثلاث عشرة صفحة عن وجود اللزوم الدلالي فيما سمّاه بنظرية الالتزام[٢] ، ويظهر من تطبيقه لنظرية الالتزام بحثه عن الدلالة الملازمة للاسم التي تفرق بينه وبين مرادفه ، لأن هذه الدلالة من المعاني الدقيقة للاسم ، وهذا ما لا يتفق معه البحث هنا في نظرية اللزوم الدلالي ، إذ يبحث اللزوم الدلالي عن دلالة مصاحبة للاسم في جميع السياقات التي ورد فيها بغض النظر عن وجود مرادف للفظ أو لا ، ومع أن هذه الدلالة المصاحبة للاسم قد تفرِّق بينه وبين مرادفه إلا أن هذه الدلالة ليست من المعنى المعجمي للاسم ، فليست من المعاني الدقيقة له، بل إن هذه الدلالة المصاحبة للاسم لا يلزم أن تكون وصفًا متصلاً بالاسم في السياق، فاللزوم الدلالي يبحث عن الدلالة المصاحبة للاسم في السياق سواء كانت هذه الدلالة وصفًا للاسم أو أنها تصاحبه في السياق ووصفًا لغيره .

وإذا كان د. المطعني في كتابه "خصائص التعبير القرآني" قد تحدَّث عن نظرية (الالتزام) في القرآن الكريم وطبّقها على ستة أسماء مترادفة ، فإنه بعد ذلك أفرد لهذه النظرية كتابًا سمّاه "دراسات جديدة في إعجاز القرآن" درس فيها أربعين اسمًا ، وهي في معظمها أسماء للمعاني المجرّدة مثل (النصر والظفر) وليست أسماءً للأجسام ذات الحيز ، أما دراستي للزوم الدلالي فقد جعلتها في نطاق أسماء الأجسام مثل (العين، اللسان، الإبل، البقرة) ولذلك لم يكن في كتاب د. المطعني "دراسات جديدة في إعجاز القرآن" دراسة للأسماء المدروسة هنا إلا دراسة د. المطعني لثلاثة أسماء هي: (جسد، جسم، لسان)[١] وذلك في ثماني صفحاتٍ، وقد جعل د. المطعني دراسته للأسماء قائمة على البحث عن الفرق بين الاسمين المترادفين، وبذلك تختلف دراسة د.المطعني عن المراد باللزوم الدلالي في هذا الكتاب، فالبحث عن اللزوم الدلالي للاسم لا يتوجّه في الأصل إلى التفرقة بين المترادفين ، وإنما يبحث عن الدلالات المصاحبة للاسم في السياق في المواضع المتعددة .

وأيًّا ما كان الأمر فإن د.المطعني في كتابيه قدّم مفهومًا يُمهد لوضع نظرية (اللزوم الدلالي) والسعي وراء تطبيقها على أسماء عديدة للتوصُّل إلى صورة تواجدها في القرآن الكريم.

ومن الدراسات التي لمستْ وجود دلالة ملازمة للاسم في القرآن الكريم، دراسة د. حسن طبل للالتفات في القرآن الكريم ، حيث تناول في بحثه نوعًا من الالتفات هو الالتفات (العدول) عن اسم إلى اسم آخر مرادف له وكلاهما في سياق واحد ، مثل العدول عن اسم (كفل) إلى اسم (نصيب) في آية واحدة ، وكذلك مثل العدول عن

(٢) انظر: د. عبد العظيم المطعني ، خصائص التعبير القرآني ، ٢٧٨/١
(١) انظر: د. عبد العظيم المطعني ، دراسات جديدة في إعجاز القرآن ، ٨٠ وكذلك ٢٣٢

اسم (بحر) إلى اسم (يمّ) في آية واحدة[٢]، ويُرجع د. حسن طبل عدول القرآن الكريم عن اسم واستعماله لاسم آخر إلى وجود دلالات معجمية دقيقة للاسم تجعل اختيار أحدهما أنسب من الآخر لمقتضيات السياق، وهذا ما يختلف عن فكرة اللزوم الدلالي لأن اللزوم الدلالي للاسم يختلف عن الدلالة المستوحاة من معنى الاسم في المعجم، واللزوم الدلالي للاسم ليس في موضع أو موضعين وإنما في جميع مواضع استعمال الاسم .

وبذلك نجد أن للزوم الدلالي مفهومه الذي يفصل بينه وبين غيره من النظريات (كالفروق اللغوية بين المرادفات، والبحث عن المعنى اللغوي للفظ أو تعدّد معناه في القرآن الكريم وهو ما نجده في كتاب الوجوه والنظائر أو كتاب بصائر ذوي التمييز) فالبحث في اللزوم الدلالي بحث عن معنىً في السياق التزم به القرآن الكريم وليس من المعنى الدقيق للفظ ، وليس من المعاني المتعددة للفظ ، ولا يلزم أن يصاحبه في غير القرآن الكريم.

ففكرة اللزوم الدلالي فكرة لم تُفرد لها دراسة مستقلة ، تحدّد مفهوم النظرية وتطبيقاتها على عدد من الأسماء المحددة بمجال دلالي، كي يظهر مدى وجود هذه النظرية في القرآن الكريم .

وقد قمتُ في البحث عن اللزوم الدلالي في القرآن الكريم بدراسة أسماء الإنسان وأعضائه والحيوان وأعضائه التي تكررت في أكثر من موضع، وقد بلغ عددها (٨٠) ثمانين اسمًا جاء ذكرها في القرآن الكريم ألفًا وسبعًا وستين (١٠٦٧) مّرة، وقد بلغ عدد أسماء الإنسان وأعضائه ستة وأربعون (٤٦) اسمًا، وبلغ عدد أسماء الحيوان وأعضائه اثنان وعشرون (٢٢) اسمًا، واحد وعشرون اسمًا منها للحيوان واسم واحد لعضو من أعضائه وهو (ذراع) وقد بلغ عدد الأسماء المشتركة التي جاءت لأعضاء الإنسان وجاءت أيضًا لأعضاء الحيوان اثنا عشر (١٢) اسمًا هي (أذن، بطن، جلد، جنب، جناح، دم، رحم، ساق، ظهر، عظم، عنق، لحم) .

وهذا الكتاب يُقدّم دراستي للزوم الدلالي لأسماء الحيوان وأعضائه في القرآن الكريم ، وعددها اثنان وعشرون اسمًا ، أعرضها مرتبة هجائيًّا ، وأدرس فيه الاسم الذي ورد في القرآن الكريم أكثر من مرة ، مع دراسة مرادفه (وإن ورد المرادف مرة واحدة) وجعلت دراسة مرادفات الاسم مع الاسم المقدّم هجائيًّا الذي ورد أكثر من مرة ، مثل دراسة أسماء (بدن ، بعير ، جمل ، ناقة) مع دراسة اسم (إبل) وليس الهدف من دراسة مرادفات الاسم البحث عن فروق معانيها ، وإنما ملاحظة وجود لزومٍ دلالي (غير معجمي) لكل اسم منها مختلفٍ عن الآخر، وقد ألحقت بهذه

(٢) انظر: د. حسن طبل ، أسلوب الالتفات، ١٦٦

الدراسة معجمًا للزوم الدلالي للأسماء المدروسة ، يجمع بين الاسم واللزوم الدلالي له .

وهذا الكتاب في أصله جزءٌ من رسالةٍ حصلتُ بها على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبعها ونشرها ، أشرف عليها وأثرى فيها أ. د. صفوت عبد الله الخطيب،الأستاذ بكلية الآداب، جامعة المنيا، وناقشها أ. د . حسن طبل و أ. د . السعيد الباز، الأستاذان بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، وقد أفاضوا على الرسالة بطيب أخلاقهم من علمهم الجزيل، وقد بدت لي ملامح وجود اللزوم الدلالي في القرآن الكريم أثناء دراستي للتركيب الإضافي في القرآن الكريم في الرسالة التي حصلتُ بها على درجة الماجستير والتي أشرف عليها أ. د /أحمد عبد المجيد هريدي و أ. د / صفوت عبد الله الخطيب فجزاهم الله خيرًا.

وإذا كانت هذه الدراسة محاولة بحثية يستصغر فيها الباحث خط يمينه ، وتيقظ فطنته ، وتوقد فكرته ، إلا أن الباحث لا يُخفي استعظام قدر الفكرة التي تبحث عن ظاهرة فريدة في الأسلوب ، وتتناول نمطًا بلاغيًا في الإعجاز لا يطاوله بشر ، وتكشف عن دلالات دفينة في النصوص القرآنية ، وأغراض بلاغية تؤكد أن فيض التفسير لأسرار الصياغة منهمر ، وأن بلاغة القرآن الكريم تحتاج إلى بحث متجدّد لا يقعده تقعيد جاف ، ولا يعوقه بعث يجترع الماضي بإجحاف ، فحُسن التجديد في إبداع يزيد ، لذا قنوع أنا بقليل وكثير ، فقليل ما سطرتُ من فوائد أقدِّمه بكثيرٍ من الأمل في أن يكون هذا البحث فكرةً جديدةً ، وحراكًا متوقداً ، وسبيلاً مبشرًا لصيدٍ ثمين .

والله تعالى أسأل أن يجزي بالخير الوفير والأجر الجزيل كلَّ من ساعد في إثراء هذا العمل ، وأسأله سبحانه أن يرزقني قصدًا خالصًا لوجهه الكريم يشفع لي زلاتي يوم ألقاه ليس بيني وبينه إلا ما كتبتُ ، وأن يحكم الله تعالى بعفوه ورضاه فهو سبحانه نعم المولى ونعم الوكيل .

محمد سامي عبد السلام حسانين

المنيا، سمالوط، شارع الداقوفي

Mohamed.samy_1978@yahoo.com

إبِل : (بُدْن – بعير – جمل – ناقة)

يستعمل الناس اسم (إبل) بدلالته المعروفة على نوع من الحيوان ، دون أن يكون استعمالهم لهذا الاسم (إبل) مرتبطًا بدلالة أخرى لا علاقة لها بهذا الحيوان ، وبذلك لا يلتزم البشر في استعمالهم لاسم (إبل) بدلالةٍ ليست من معناه المعجمي ، أمّا القرآن الكريم فنجده يستعمل اسم (إبل) مع دلالةٍ تلازمه في كلا الموضعين الوارد فيهما اسم (إبل) على الرغم من أن هذه الدلالة ليست من معنى الاسم في المعجم .

فقد جاء اسم (إبل) في القرآن الكريم في موضعين ، ويشترك الموضعان في دلالات بعينها ، وذلك كما يلي :

الموضع الأول: الإنكار على المشركين لتحريمهم نوعًا من الإبل مع بيان كيفية خلق الإبل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

ويلاحظ في هذا الموضع عدّة دلالات هي :

١- الردّ على المشركين ببيان كيفية خلق الإبل: فقد كان المشركون يحرمون على أنفسهم نوعًا من الأنعام تقربًا لما يعبدون من دون الله تعالى ، يقول ابن كثير: ((وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حَرّموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاءً وأنواعًا ، بحيرة وسائبة ووصيلة وحامًا وغير ذلك))[1] وكان هذا التحريم يرتبط بنوع الإبل ذكرًا أو أنثى ، فالبحيرة هي التي يُمنع درعها للطواغيت ، أو الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن ، والسائبة إذا ولدت عشر إناث ، والوصيلة الناقة التي تلد أنثى بعد أنثى ، أما الحام فهو فحل الإبل إذا قضى عددًا من اللقاح أعفوه من الحِمل وادعوا أنه لآلهتهم[1] ، وهذا ما يذكره السياق في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٠٨/٣

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ١٢٦/٣

مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ [الأنعام:١٣٦]، فالسياق يتوجّه في الخطاب إلى المشركين موضحًا لهم أن الله تعالى خلق الأنعام ذكرًا وأنثى وأحلّ الانتفاع بهما ، وأن ما يحرمونه من الأنعام تحريم لا أصل له ، وبذلك جاء الرد على المشركين ببيان خلق الله تعالى لنوعي الإبل الذكر والأنثى بغرض الانتفاع بهما على حدٍ سواء ، فجاء الرد مصحوبًا ببيان كيفية الخلق فالإبل يتكوّن من ذكر وأنثى ، ووجود نوعين للنفع المتنوّع وللتكاثر.

٢- توجيه الخطاب للمشركين : فالآيات تخاطب المشركين ، والسورة مكية تدحض عقيدة كانت سائدة عندهم .

٣- بطلان العبادة لفساد العقيدة : فالآيات تبيّن وجود عبادة وتشريع ، ولكنها عبادة مردودة لفساد العقيدة لأنها شرك بالله تعالى ، وهو وتشريع باطل لأن الله تعالى لم يحرم الانتفاع بنوع من الأنعام .

٤- وجود طعام ممنوع أكله على المشركين: إذ كانوا يحرمون على أنفسهم نوعًا من الإبل .

٥- ويلاحظ في الآية أسلوب الاستفهام: ﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ ؟ وهو استفهام إنكاري يقصد به إنكار حالهم والتعجب منه ، يقول الزمخشري: ((الهمزة في "آذكرين" للإنكار))[٢] أي لم يحرم الله تعالى فيها شيئًا ، ويفهم من الاستفهام التعجب من تحريم المباح من عند أنفسهم .

الموضع الثاني : الإنكار على المشركين لعدم تفكّرهم في كيفية خلق الإبل : وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية:١٧].

وجاء مع هذا الموضع عدة دلالات هي :

١- الرد على المشركين بتدبر كيفية خلق الإبل: فالمشركون قد صرفوا جزءًا من العبادة لمن لا يستحقها ، ولو أنهم تدبروا في عظمة الخلق لأدركوا أن الله وحده هو المستحق للعبادة تعظيمًا له دون غيره ، فجاء الإنكار عليهم لعدم تدبرهم في كيفية خلق الإبل ، ويقتضي النظر في كيفية خلق الإبل التأمل في تنوّعها إلى ذكر وأنثى وتنوّع

(٢) الزمخشري، الكشاف ، ١٣١/٢

منافعها ، وهى تشترك في ذلك مع آية سورة الأنعام – الموضع الأول لاسم (إبل) – في حديثها عن خلق الأنعام حمولة وفرشًا وخلق الإبل من زوجين ، وكأن إجابة سؤال سورة الغاشية ﴿ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾ نجده في الموضع الأول في سورة الأنعام .

٢- توجيه الخطاب للمشركين: والسورة مكية أيضًا (كسورة الأنعام) تتوعد المشركين وتنكر عليهم ما هم فيه .

٣- بطلان العبادة لفساد العقيدة: إذ يلاحظ في أول سورة الغاشية أنها تتوعّد وجوهًا خاشعة عاملة ناصبة ، يقول تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ [الغاشية : ١-٤]، وقد جاء في تفسيرها أنها للذين يجهدون أنفسهم في العبادة لغير الله تعالى ، يقول الألوسي: ((أي ظهر لهم يومئذ أنها كانت خاشعة عاملة ناصبة في الدنيا من غير نفع ، وأمّا قبل ذلك اليوم فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً))[1] وعلى هذا المعنى فإن مِن الذين تحدّثت عنهم سورة الغاشية أولئك الذين تحدثت عنهم سورة الأنعام بأنهم جعلوا أنواعًا من الأنعام لغير الله تعالى .

٤- وجود طعام ممنوع أكله على المشركين: فيأتي الوعيد في سورة الغاشية لأهل النار بمنع الطعام الطيب عنهم ، يقول تعالى : ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ ﴾ [الغاشية:٦-٧]، وهذا الضريع المعدّ لأهل النار طعام لا يأكله أهل الحجاز ، يقول ابن كثير: ((قال عكرمة : وهو شجرة لاطئة في الأرض ، وقال البخاري : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم))[2] وهو طعام تصفه الآيات بأنه لايسمن ولايغني من جوع ، فهو طعام لا نفع منه ، وهو بذلك يشبه ما قد حرمه المشركون على أنفسهم من الأنعام ، إذ لم يطعموا منها وحرموها على أنفسهم ، ولم يحصل لهم من تحريمهم هذا نفع ، فالموضع الأول في سورة الأنعام يتحدث عن عدم انتفاع المشركين من جزء من الأنعام حرموه على أنفسهم ، والموضع الثاني في سورة

---

[1] الألوسي ، روح المعاني ، ١١٣/٣٠

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٢/٨

الغاشية يذكر عدم انتفاعهم من طعام الضريع في الآخرة وقد كانوا لا يأكلونه في الدنيا .

٥- وقد جاء اسم (إبل) في سورة الغاشية في أسلوب الاستفهام الإنكاري ، فمعنى ﴿أفلا ينظرون﴾ كما يقول الزمخشري: ((أي لا ينظرون))[1] وهو الأسلوب نفسه الذي جاء مع اسم (إبل) في الموضع الأول في سورة الأنعام .

ففي كلا الموضعين نجد أن اسم (إبل) لازمته دلالة توجه الخطاب في السورة المكية لمشركي العرب الرافضين لرسالة محمد ﷺ، كما لازمته دلالة الطعام الممنوع أكله في الدنيا (وذلك لأنه طعام حرمه المشركون على أنفسهم في الدنيا ، أو لأنه طعام الضريع وهو شوك وسم) وهو طعام لاينفع المشركين في شيء ، كما لازم اسم (إبل) التعريف بأل ، وأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يراد به الإنكار عليهم مع التعجب من تحريمهم نوعًا من الخلق الواحد ، الذكر أو الأنثى ، وبهما يحدث خلق الإبل ، أو التعجب من كيفية صنع هذا الخلق الذي يتسبّبُ في بقائه أن جعل الله تعالى منه الذكر والأنثى ، فالموضعان يتحدثان عن كيفية الخلق .

ولم يستعمل العرب اسم (إبل) مقترنًا بهذه الدلالات ، ولم تذكر كتب المعاجم اقتران هذا الاسم الذي يدلّ على الحيوان المعروف بمثل هذه الدلالات، فالقرآن الكريم يستعمل الاسم استعمالاً خاصًا مع الحفاظ على دلالته المتعارف عليها عند البشر ، ولعلّ هناك مناسبة بين دلالة الجذر اللغوي لاسم (إبل) والدلالة الملازمة للاسم في استعمال القرآن الكريم له ، فاسم (إبل) قريب في اللفظ من الفعل (أبى) أي رفض ، ومن مادة اسم (إبل) يأتي الفعل (أبَل) وهو ما يقول عنه ابن منظور: ((أبل الرجل عن امرأته يأبل بالكسر امتنع عن غشيانها))[1] فالفعل المشتق من مادة الاسم يفيد معنى الامتناع والرفض ، وفى اللزوم الدلالي لاسم (إبل) في القرآن الكريم نجد دلالة رفض المشركين لدعوة الرسول ﷺ وامتناعهم عن اتباعه ، وهذه الدلالة (الامتناع والرفض) ليست موجودة في استعمال البشر لاسم (إبل) فهذا اللزوم الدلالي خاص بالقرآن الكريم في استعماله للاسم مع دلالة بينها وبين الجذر اللغوي للاسم مناسبة .

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ٥٨٤

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أبل) ٥/١١

• بُدْن :

جاء اسم (بُدْن) في القرآن الكريم ، وهو جمع (بَدَنة) وكذلك جاء اسم (بَدَن) المفرد في القرآن الكريم ، ولازمت اسم (بُدْن) واسم (بَدَن) دلالات واحدة كما يلي:

أولاً: اسم (بُدْن) للهَدي الذي يساق للبيت الحرام :

جاء اسم (بُدن) في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج:٣٦]، والبُدن اسم من أسماء الإبل ، والمراد به في الآية الهدي الذي يُنحر في مناسك الحج ، يقول ابن كثير: ((أمّا إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين ، أصحهما أن يطلق عليهما ذلك شرعا))[٢]

ويلاحظ في سياق اسم (بُدْن) وجود هذه الدلالات:

١ـ دلالة التعظيم : فالبُدن شعيرة من شعائر الله تعالى نَصّ السياق على تعظيمها يقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحج: ٣٢-٣٣].

٢ـ ضخامة الجسد : فاسم (بُدن) مأخوذ من البَدن – بفتح الباء – وهو يدل على البدانة أي كثرة اللحم والضخامة، يقول الراغب: ((البَدن الجسد، لكن البَدن يُقال اعتبارًا بعظم الجثة))[١] ولعل ذلك يُناسب استعمال القرآن الكريم اسم (بُدن) كنوع من أنواع الهدي في مقام الحثّ على الإنفاق في سبيل الله تعالى ، فيُفضَّل ذبح ما

---

[٢] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٧/٥

[١] الراغب ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ٣٥

كثر لحمه (أي بَدن جسمه) إطعامًا للفقراء ، يقول ابن كثير: ((قال بعض السلف: إعظامها استحسانها واستسمانها))[٢]

٣- الانقياد لمكان مفارقة الحياة (النحر) : فمن شعائر الحج والعمرة تقليد الهدي بقلائد تمييزًا لها عن غيرها فلا تُنحر، بل تُساق للنحر عند البيت الحرام ، تعظيمًا لله تعالى وشكرًا له على نعمه وتعظيمًا لبيته الحرام ؛ فيُحمل الهدي (الإهداء) إليه ، يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة:٢]: ((لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام ، فإن فيه تعظيم شعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز بها عمّا عَداها))[٣] فإذا ما كان السفر قديمًا يحتاج للنحر، فلا ينحر الهدي ينحر الهدي في السفر قبل مكة ، فلفظ الهدي يحمل معنى الإهداء بحمل الهدي إلى المكان المُهدَى إليه.

٤- بقاء الجسد نفعًا للناس بعد نحره : فالإسلام دين الواقع لا الخيال ، فلا يظن أحدٌ أن تعظيم الهدي يلزم عدم أكله لأنه من شعائر الله تعالى ، ولذلك نبّهتْ الآيات على الانتفاع بالهدي قبل نحره وبعد نحره ، يقول تعالى: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحج:٣٣]، ويقول سبحانه : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧]، فليس في عقيدة الإسلام تعظيم اللحوم أو الدماء لذاتها ، فمعنى أنها من شعائر الله أنها وسيلة لعبادة الله تعالى فتعظيمها تعظيمٌ لمعنى عبادة الله تعالى التي تؤدى بها ، لا تعظيم لذاتها .

---

[٢] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٦/٣

[٣] نفسه ، الصفحة نفسها.

ثانياً : اسم (بَدن) لفرعون بعدما ساقه الله تعالى لمكان حتفه :

وقد جاء في القرآن الكريم اسم (بَدن) مرة واحدة أيضاً ، والعجيب أنه جاء لجسد الإنسان بعد موته ، فهو كالحيوان لا يتميّز بما يتميّز به الإنسان من عقلٍ وكلامٍ، فإذا كان اسم (بُدْن) للحيوان فإن اسم (بَدَن) وهو من مادته اللغوية جاء في القرآن الكريم للإنسان بعد فقدان خاصته الإنسانية ، فمن جمال القرآن الكريم أنه استطاع تطويع اسم (بَدن) الدال على الإنسان ليكون دالاً على الجسد بعد انتفاء صفة الإنسانية أو أهم خصائصها فيقترب من دلالة اسم (بُدْن) على الحيوان .

وقد جاء اسم (بَدن) في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس:٩٠-٩٢]، فاسم (بَدَن) هنا جاء لفرعون في تصوير هذا المشهد الذي يحكي لقارئ الآيات عن غرق فرعون وجنوده ، ويلاحظ في السياق عدّة دلالات :

١- دلالة التعظيم : وهي مرتبطة بفرعون ، فهذا البدن كان لمَلك مصر ، الذي كان يستعظم نفسه حتى ادّعى أنه رب الناس ، وأراد بناء صرح يصل به إلى السماء، والقرآن يصور ما كان فيه فرعون من عظمة في الملك واستعباد للخلق ، يقول تعالى في الآيات التي تسبق اسم (بَدن): ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس:٨٣]، ويقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [يونس:٨٨]، ومن صور عظمته خروجه مع جنوده لاتباع موسى عليه السلام، فلابد لهذا الملك الطاغية أن يشعر بالعظمة وهو على رأس جيشه يلاحق قلّة مستضعفه وصفهم السياق بقوله

تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ ﴾ [يونس:٨٣]، فقد كان فرعون مُعظماً في قومه وهو ما يماثل دلالة التعظيم للبُدن لأنها من شعائر الله تعالى .

٢- ضخامة الجسد : ويرتبط اسم (بَدَن) في دلالته اللغوية في المعجم بضخامة الجسم ، يقول ابن منظور : ((بدن الإنسان : جسده ... وبَدَن الرجل – بالفتح – يَبْدُن بُدْناً وبدانة فهو بادِن إذا ضَخُم وكذلك بَدُن بالضم يَبْدُن بدانة، ورجل بدِن ومُبدّن وامرأة مبدّنة وهما السمينان ... والمُبدن : المُسِن))[1] ودلالة (بَدن) على ضخامة الجسد والسمنة وكذلك كبر السن مناسبة لحال فرعون ملك مصر، لما يغلب على مثل حاله في الثراء ضخامة الجسد ، كما يناسب ضخامة الجسد حال من أخرج جسده من الماء بعد الغرق ، وقد كان فرعون مسنًا ، إذ أمضى عُمُرًا مدّة تربية موسى عليه السلام في بيته ، يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ ﴾ [الشعراء :١٨] وخرج بعدها موسى عليه السلام مدّة عشر سنوات أمضاها مع شعيب عليه السلام ثم أرسله الله تعالى بعدها لفرعون ليعود إليه ثانية ، فهذه المدة الزمنية تفيد تقدّم فرعون في السن ، فهناك مناسبة بين دلالة اسم (بَدن) على ضخامة الجسم وكبر السن ، وحال فرعون ملكًا ومسنًا ، وغريقًا بعدها .

ووجود معنى الضخامة والسمنة في اسم (بَدَن) مماثل لوجوده مع اسم (بُدْن) اسماً للهدي ليكثر لحمه للفقراء ، وإذ كانت ضخامة الجسد إحدى معاني مادة (بدن) في المعجم فإن القرآن الكريم يوظف هذا المعنى ليكون دالاً على شيء آخر وليس مجرد الوصف كالمعجم ، فيأتي باسم (بَدَن) لتدل الضخامة على الثراء والسن والغرق ، ويأتي باسم (بُدْن) لتدل الضخامة على الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى ، فاللزوم الدلالي هنا ليس مجرد وصف الضخامة المرتبط بالاسم في المعجم ، لكن اللزوم الدلالي من توظيف القرآن الكريم لهذا الوصف لغرض دلالي آخر.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بدن) ٣١/٤٨

٣- الانقياد لمكان مفارقة الحياة : ففرعون كان يسير بجنوده يتّبع موسى والمؤمنين معه ، وهو لا يدري أنه يسير وراءهم منقادًا لمكان حتفه ، ففرعون وجنوده ملتزمون بالطريق الذي يسير فيه المؤمنين ، فهم منقادون بحكم التتبع وراء المؤمنين ، فمثلهم كمثل الهدي الذي يُقاد إلى موضع نحره .

٤- بقاء الجسد نفعًا للناس بعد حتفه: لم يعلم فرعون أنه يُقاد لحتفه غرقًا ، ثم نجّي الله تعالى هذا الجسد من بقائه في الماء ليكون بعد مفارقته الحياة وخروج الروح منه آية للناس ، فالقرآن الكريم بيّن أن لنجاة هذا الجسد نفعًا للناس ، ((فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً)) يقول ابن كثير: ((قال مجاهد: بجسدك، وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد الله بن شداد : سويًا صحيحًا أي لم تمزّق ليحققوه ويعرفوه))[1] واللافت للنظر هنا أن الله تعالى استعمل لفظ (نُنَجِّيكَ) بدلالته على النجاة التي تقابل إهلاك فرعون بالغرق ، والآية قيّدت النجاة بأنها نجاة للبدن فقط ، لكن كان من الممكن استعمال لفظ نخرج بدنك ، أو نبقي على بدنك ، غير أن لفظ (نُنَجِّيكَ) تحمل دلالاتٍ أخرى مع دلالتها على خروج الجسد ، من هذه الدلالات سلامة الجسد من التلف ، فالنجاة تقتضي السلامة ، وكذلك إدراك أن أمر النجاة والإهلاك بيد الله تعالى فكما جاء الإهلاك جاءت النجاة وكلاهما من الله تعالى، وهناك أمر آخر راودني ، وهو أن فرعون دعا الله تعالى بغير حق ؛ فهدفه النجاة لا الإيمان فكانت الإجابة والجزاء من جنس الدعاء والعمل إذ أعطاه الله تعالى نجاةً بلا معنى بالنسبة له ، فكما كان إيمانه على غير حقيقة الإيمان كانت النجاة له على غير حقيقة النجاة ، فهي نجاة للبدن وليست كما يريد .

وأيًا ما كان الأمر كانت نجاة بَدن فرعون نفعًا للمؤمنين ، ففي مفارقته الحياة خير وعظة ، ورحمة من شره ، وعبرة لغيره ، وتلك الصورة تقارب صورة الهدي ففي نحرها خيرٌ للمؤمنين ، لينفع بَدَنُها (لحمها) المؤمنين بالطعام والثواب .

فاللزوم الدلالي لاسم (بُدن) جاء من استعمال اسم (بُدن) الجمع واسم (بَدن) المفرد في الدلالة على الحيوان أو ما يشبهه (لانعدام صفة الإنسانية) وكذلك جاء اللزوم الدلالي من دلالة التعظيم (مَلِك مصر- الهدي) ودلالة ضخامة الجسد وتوظيفها لأغراض دلالية أخرى (الثراء والسن والغرق – الحث على الإحسان) ودلالة الانقياد لموضع مفارقة الحياة (الغرق – النحر) ودلالة الانتفاع بالجسد بعد

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٧٣/٤

مفارقة الحياة (لتكون لمن خلفك آية – الأكل من لحمه وإطعام الفقراء) فهذه الدلالات لازمت الاسم في استعمال القرآن الكريم له ، وميزته عن بقية أسماء الإبل .

• بعير:

جاء اسم (بعير) مرتين في القرآن الكريم ، وذلك في سورة واحدة هي سورة يوسف ، يقول تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ [يوسف:٦٥].

ويقول تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾ [يوسف:٧٢].

والبعير اسم من أسماء الإبل ، يقول ابن منظور: ((البعير الجمل البازل[1] وقيل الجذع ، وقد يكون للأنثى ، قال الجوهري: والبعير من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس ، يقال للجمل بعير وللناقة بعير))[2] وإذا كان البعير في اللغة اسم من أسماء الإبل فإنه جاء في القرآن الكريم مع دلالة حمل البعير للزاد ، فجاء في سياق يتحدث عن كيل الطعام وحمل البعير له ، ونقله من مصر إلى البلاد الأخرى .

ويؤكد هذا اللزوم الدلالي لاسم (بعير) وجود علاقة بين سياق سورة يوسف والجذر اللغوي لاسم (بعير) ، ويمكن ملاحظة هذه العلاقة فيما يلي:

١- **البعير ودلالة الزاد (الطعام)** : حيث يلاحظ أن اسم (بعير) يشتق من (بَعَر) التي يشتق منها اسم (بَعْر) وهويدل على تزوّد الإبل بالطعام ، يقول ابن منظور: ((البَعْر و البَعَر: رجيع الخُف والظِّلف من الإبل والشاء وبقر الوحش والظباء))[3] والآيات التي جاء فيها اسم (بعير) في سورة يوسف تتحدث عن قدوم أخوة يوسف من أرض كنعان إلى مصر ليتزوّدوا من الطعام .

٢- **البعير ودلالة انتقال بني اسرائيل** : فمادة (بَعَر) التي منها اسم (بعير) قريبة من مادة (عَبَر) ومنها الفعل (عَبَر) الدال على الارتحال والتنقل ، وهو ما حدث من إخوة يوسف حيث كانوا ينقلون الزاد من مصر لبلادهم ، ثم انتقلوا إلى

---

[1] البازل : الذي أكمل السنة الثامنة وطلع نابه ، وهو معنى بَزَل الناب (لسان العرب ، مادة (بزل) ٥٢/١١ ، بتصرّف)

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بعر) ٤ /٧١

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

مصر للعيش فيها ، وقد عاش إخوة يوسف في مصر، وذريتهم هم بنو إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام وعبروا النهر ، وسميت دولتهم ولغتهم بالعبرية ، فدلالة الانتقال موجودة في سياق السورة كما يدل عليها اسم (بعير)

٣- **البعير ودلالة تأويل الرؤيا:** وهناك صلة أخرى بين مادة (بعر) التي يشتق منها اسم (بعير) وأحداث قصة يوسف ، وهو أن معجزة يوسف عليه السلام كانت تعبير الرؤيا أي تأويلها ، وتسمية تأويل الرؤيا بتعبير الرؤيا هو ما جاء في السورة في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف:٤٣]، وهذا الفعل (تعبر) مشتق من مادة (عبر) القريب من مادة (بعر) التي اشتق منها اسم (بعير)

فاسم (بعير) جاء ملازمًا لدلالة حمل الزاد ، ودلالة التنقل والترحال ، ودلالة عبور بني إسرائيل وبقائهم في مصر ، ودلالة تعبير الرؤيا ، وذلك لأن هذه الدلالات بينها وبين مادة (بعر) مناسبة ، وإن لم تكن هذه الدلالات من معاني مشتقات هذه المادة ، فهي دلالات مصاحبة لاسم (بعير) في استعمال القرآن الكريم فقط ، فهذه المناسبة بين دلالات السياق ومادة الاسم ليست ثابتة في استعمال البشر للاسم ، وليست من معاني الاسم في المعجم ، فاسم (بعير) في اللغة كما تشرحه كتب المعاجم لا يدل إلا على الحيوان المعروف .

- **جمل :**

الجمل اسم من أسماء الإبل كالبعير ، يقول الراغب : ((والجمل يُقال للبعير إذا بزل [أكمل السنة الثامنة] وجمعه جِمال وأجمال وجِمالة))[1] وقد جاء هذا الاسم مرتين في القرآن الكريم ، يجمع بينهما اللزوم الدلالي الذي يظهر من دراسة كل موضع منهما كما يلي :

الموضع الأول : الجَمَل في وعيد المكذبين بمنعهم دخول الجنة : وهو في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠]، ويلاحظ في السياق عدّة دلالات :

---

[1] الراغب ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ٧٦

١ـ وعيد للكفار: فالآية تتوعد الكفار بما أعده الله تعالى لهم من خلود في النار، إذ أنّهم ممنوعون من دخول الجنة كما يمتنع دخول الجمل في سم الخياط (ثقب الإبرة) يقول ابن كثير: ((وفسروه بأنه البعير... قال الحسن البصري: حتى يدخل البعير في خرق الإبرة))[1]

٢ـ وصف الكفار بالمكذبين المجرمين: فالآية تصفهم بالمكذبين والمتكبرين عن اتباع الحق كما تصفهم بالمجرمين.

٣ـ تحقير المكذبين والتهكم بهم : حيث جاء جزاء تكبر المكذبين عن اتباع الحق بنقيض تكبرهم بإذلالهم ، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ دلالة على إذلالهم ، كما يقف سائل الحاجة عند الباب ثم يُرد بعد حين، كما يُلمح أسلوب التهكم من التشبيه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ إذ كان من الممكن أداء المعنى بالنفي دون تعليقه (ولا يدخلون الجنة) لكن جاء التعليق (حتى يلج الجمل في سمّ الخياط) ليفيد ـ مع التأكيد ـ التهكم والسخرية بهم ، وكأنّ المعنى : إذا أردتم دخول الجنة فلا بد أن يلج الجمل في ثقب الإبرة ، فلكم أيها الكفار أن تتخيلوا ذلك أو تفعلوه إن أردتم، وهو من باب السخرية والاستحالة ، فهناك فرق بين أن يقول القائل لمن يسأله حاجة: لا أعطيك ، وأن يقول: لا أعطيك حتى ترى شحمة أذنك ، بمعنى: أعطيك إن رأيت شحمة أذنك.

٤ـ ظهور صفة الضخامة للجمل: فعلّة عدم دخول الجمل في سمّ الخياط هي ضخامة الجمل ، فهو أكبر حجمًا من ثقب الأبرة .

٥ـ أسلوب التشبيه: إذ يفيد المعنى التشبيه ، فمعنى أنّ الكفار لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ، أي: لا يدخلون الجنة كما لا يدخل الجمل في سمّ الخياط ، فهناك طرفان للتشبيه (عدم دخول الكفار الجنة ـ عدم دخول الجمل ثقب الإبرة) وإذا كانت علّة عدم دخول الجمل سمّ الخياط ضخامته ، فإن علّة عدم دخول الكفار الجنة كذبهم واستكبارهم ، والمكذب المتكبر يرى نفسه أكبر (أضخم) من الاعتراف بالحق واتّباعه ، فكبرت نفوسهم عن اتباع الحق كما كبر الجمل عن دخول سمّ الخياط .

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٣/٣

الموضع الثاني : الجَمَل في وعيد المكذبين بدخول النار:

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٩–٣٤] في هذا الموضع نلاحظ وجود الدلالات الآتية:

١- وعيد الكفار: ففي هذا الموضع نجد الوعيد للكفار بعذابهم في النار ، إذ يتطاير عليهم الشرر من اللهب ، كأن الشرر جِمال تقذف عليهم .

٢- وصف الكفار بالمكذبين والمجرمين : فكما جاء وصف الكفار في الموضع الأول بالمكذبين والمجرمين جاء وصفهم في هذا الموضع ، فالآيات تصفهم بالمكذبين وتتوعدهم برؤية ما يكذبونه ، والسياق يصفهم بالمجرمين ، يقول تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المرسلات:١٨-١٩]، ويقول تعالى: ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المرسلات:٤٦-٤٧].

٣- تحقير المكذبين والتهكم بهم : تظهر دلالة تحقير المكذبين في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦]، وهي صورة قريبة جدًا من صورة المكذبين في الموضع الأول في سورة الأعراف حيث لا تفتح لهم الأبواب ، أي لا يؤذن لهم ، والآيات هنا في سورة المرسلات تصرح بعد الإذن لهم (ولا يؤذن لهم) فدلالة الإذلال موجودة في كلا الموضعين، حيث يُتركون فلا تفتح لهم الأبواب ولا يؤذن لهم بالكلام .

ونجد مع دلالة التحقير دلالة التهكم بهؤلاء المكذبين ، إذ يُقال لهم (انطلقوا) وكأنهم أحرار ، ثم مرةً أخرى (انطلقوا) فهو أمر لهم بالانطلاق الذي من شأنه السرعة والإقدام ولكنه هنا انطلاق إلى جهنم ، فهذا الأمر في الحقيقة سخرية بهم ؛ إذ يُساقون إلى جهنم ، ولا يمكنهم أن ينطلقوا من أنفسهم إليها ، ثم يأتي التهكم

الثاني بأن يقال لهم انطلقوا إلى الظل! وأي برودة في هذا الظل وهو ظل اللهب ؟! ولذلك قال تعالى : (لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) يقول الزمخشري عن هذه الآية: ((تهكم بهم وتعريض بأنّ ظلهم غير ظل المؤمنين))[1]

٤- ظهور صفة الضخامة للجمل: حيث جاء اسم (جمالة) تشبيهًا للشرر المشبه بالقصر لضخامته ، يقول الزمخشري: ((أي كل شررة كالقصر من القصور في عِظمها... شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه))[2] ولعل استعمال الجمع يؤكد معنى الضخامة ، فاسم (جِمَالة) جمع جَمل ، وفي قراءة (جمالات) جمع جِمال، ولايتعارض معنى الضخامة للجِمال مع قول الرازي: ((اعلم أنه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر ، وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر))[3] إذ يأتي معنى الضخامة أيضًا من كثرة العدد والتتابع ، فهي ضخمة في عددها ، ضخمة في تتابعها ، ولا يمنع ذلك ضخامتها في الحجم كما هو حال القصر.

٥- أسلوب التشبيه: وأسلوب التشبيه ظاهر في هذا الموضع (كالقصر كأنه جماله صفر) حيث استعمل أداة التشبيه.

وبذلك نجد أن اسم (الجمل) لازمته دلالة وعيد الكفار بعذاب الآخرة ، ووصفهم بالمكذبين والمجرمين ، مع تحقير المكذبين والتهكم بهم ، وجاء أسلوب التشبيه الذي يعتمد على وصف الجمل بالضخامة.

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل في الموضعين السابقين (سورة الأعراف وسورة المرسلات) اسم (بُدن) مع أن التشبيه يعتمد على وصف الجمل بالضخامة أي البدانة ، وهو معنى موجود في اسم (بُدن) وهو ما يدل على أن القرآن الكريم مع مراعاته لمناسبة معنى الاسم للسياق ، فإنه يحافظ على اللزوم الدلالي لكل اسم ، فاسم (بُدن) جاء مع دلالة الانقياد لموضع مفارقة الحياة والتعظيم والانتفاع بالجسد بعد الموت ، وهى الدلالات الموجودة في الهدي الذي سُمى بالبُدن في سياق الحث على إطعام الفقراء من جسده الضخم ، أما اسم (الجمل) فعلى الرغم من وجود دلالة الضخامة في السياق إلا أنه جاء مع دلالة عذاب الكفار في النار ، وهو لزوم دلالي يميزه عن استعمال اسم (بُدن) ولذلك لم يأتِ اسم (بُدن) مع دلالته على الضخامة في

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ٥٢٦/٤

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] الرازي ، التفسير الكبير، ٢٧٨/٣٠

موضع ﴿حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط﴾ أو موضع ﴿كأنه جمالة صفر﴾ مراعاة للزوم الدلالي .

- **ناقة:**

جاء اسم (ناقة) في القرآن الكريم سبع مرات ، وفى جميعها كان الاسم دالاً على ناقة صالح عليه السلام المرسلة لهود ، وذلك في قوله تعالى : ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣]، وفي المواضع الآتية (الأعراف: ٧٧ ، هود: ٦٤ ، الإسراء: ٥٩ ، الشعراء: ١٥٥، القمر: ٢٧ ، الشمس: ١٣) فلم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم إلا ويراد به ناقة صالح عليه السلام ، وهو ما يعدُّ لزومًا دلاليًا له .

ومما سبق نجد أن أسماء الإبل في القرآن الكريم جاءت مع لزوم دلالي لكل اسم يميزه عن غيره ، فجاء اسم (إبل) مع دلالة رفض المشركين لدعوة النبي ﷺ ودلالة الحديث عن كيفية خلق الإبل ، ووجود طعام يمتنع عنه المشركون ، ومع أسلوب الاستفهام الإنكاري والتعجب ، وجاء اسم (بُدن) مع دلالة الانقياد إلى مكان مفارقة الحياة ، والتعظيم ، وضخامة الجسد ، والانتفاع به بعد مفارقته للحياة ، وجاء اسم (بعير) مع دلالة الزاد والتنقل ، وتعبير الرؤيا ، والحديث عن بني إسرائيل (أخوة يوسف) وجاء اسم (جمل) مع دلالة وعيد الكفار بعذاب النار في الآخرة، ومع أسلوب التحقير والتهكم ، وأسلوب التشبيه الذي يعتمد على ضخامة الجمل ، وجاء اسم (ناقة) مع دلالته على ناقة صالح عليه السلام .

- **بدن : مع (إبل)**
- **بعير : مع (إبل)**

بقرة : (عِجل)

جاء اسم (بقرة) في القرآن الكريم تسع مرات ، وذلك في ثلاثة مواضع ، وهي في سورة البقرة ، وسورة الأنعام وسورة يوسف ، حيث يتكرر الاسم في الموضع الواحد ، ويأتي مع الدلالات الملازمة له في كل موضع ، فجاءت هذه المواضع والدلالات الملازمة للاسم كما يلي:

الموضع الأول: قصة ذبح البقرة في سورة البقرة:

جاء هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة : ٦٧ – ٧٣]، وفي هذه الآيات تلاحظ عدة دلالات:

١ـ دلالة الحديث عن بني إسرائيل: هذه القصة تتحدث عن بني إسرائيل وعن علاقتهم بموسى عليه السلام، وطريقتهم في الاستجابة لأمر الله تعالى.

٢ـ دلالة الانتقال من الإطلاق إلى التقييد : توضح الآيات أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أولاً بذبح بقرة أيًا ما كانت دون التقيد بصفات، فكان ذلك يسرًا ، لكنهم مكروا في تنفيذ الأمر ، فشدّد الله تعالى عليهم، كما ورد في تفسير ابن كثير:((فلو

لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم))[1] ومعنى ذلك أنهم انتقلوا من حال اليسر والإطلاق في اختيار البقرة إلى حال التشديد والتضييق في صفاتها ، ففي الآيات دلالة الانتقال من اليسر والإطلاق إلى العسر والتقييد ، وهى دلالة ترتبط بالحديث عن البقرة ، ولذلك تكرر اسمها في الآيات .

٣- دلالة إظهار أمر خفي : توضح الآيات أن السبب في أمر الله تعالى لبنى إسرائيل بذبح البقرة هو قتلهم نفسًا وإخفاء القاتل (فادّارأتم فيها) فأراد الله تعالى أن يظهر لهم قدرته على إحياء الموتى ، وأن يخرج ما كانوا يكتمون ، فالآيات تتحدث عن أمر خفي غيبي أخرجه الله تعالى وأظهره للناس ، وفى ذلك نفع وهداية لهم .

الموضع الثاني : تحريم جزء من البقر في سورة الأنعام :

وقد جاء اسم (بقر) في هذا الموضع في آيتين ، الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٤] والآية الثانية في السياق نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٦]، فهذا السياق في أوله يُنكر على المشركين تحريم جزء من الأنعام من عند أنفسهم ، فيمتنعوا عن أكلها والانتفاع بها نذرًا لمن يعبدون

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٣٣/١

من دون الله تعالى ، وهو تشديد على أنفسهم لم ينزله الله تعالى ، ولذلك جاءت الآيات تنفي أن يكون هذا التحريم من عند الله تعالى ، أو أن يكون المشركون شهداء على ما يحرمه الله تعالى ، والحديث عن تحريم المشركين جزءًا من البقر استلزم الحديث عمّا حرمه الله تعالى حقًا وأوحى بذلك لنبيه ليبلّغه للناس ، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً ﴾ [الأنعام:١٤٥]، كما ناسب الحديث عن تحريم المشركين جزءًا من البقر من عند أنفسهم ، الحديث عن تحريم الله تعالى على اليهود (بني إسرائيل) جزءًا من البقر عقابًا لهم على بغيهم ، فهو تحريم (تضييق) على اليهود سببه بغيهم ، فهم الذين تسببوا في هذا التحريم ، كما أن المشركين هم الذين حرموا على أنفسهم ما حرموه من الأنعام (ومنها البقر) بغيًا من أنفسهم أيضًا، لأنه شرك .

ففي هذه الآيات نجد عدّة دلالات هي :

١ـ دلالة الحديث عن اليهود : فالآيات تتحدث عن تحريم جزءٍ من البقر على اليهود بغيًا من عند أنفسهم ، وهو يشبه تحريم المشركين لجزءٍ من البقر على أنفسهم ، فالحديث عن اليهود مرتبط بالحديث عن البقر سواء مع تحريم جزءٍ منه على اليهود أو تحريم جزءٍ منه على المشركين لوجود الشبه في هذا التحريم ، ولذلك جمع السياق بينهما .

٢ـ دلالة الانتقال من الإطلاق إلى التقييد : فالآيات تؤكد على أن الأصل هو الحلّ (الإباحة) في أكل هذه الأنعام ، فالله تعالى أحلّ كل البقر، ولذلك جاء أسلوب القِصر في بيان ذلك في هذا الموضع ، في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وهذا الأسلوب يُذكّر بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ ﴾ [آل عمران: ٩٣]، ولعلّ تسمية يعقوب عليه

السلام في هذه الآية بإسرائيل إشارة إلى التشريع الذي فرض على اليهود (بني إسرائيل) وهو تشريع ينتقل من الحِلّ إلى التحريم ، وهو ما جاء في موضع سورة الأنعام ، حيث توضّح الآيات أن تحريم جزء من البقر على اليهود كان تضييقًا عليهم بسبب بغيهم ، ومعناه أن الأصل هو الإباحة والإطلاق ، كما أن هذا الموضع يتحدّث عن تضييق المشركين على أنفسهم بتحريم ما أحلّ الله تعالى لهم من الأنعام ، ففي الآيات دلالة الانتقال من الحِلّ واليسر والإطلاق إلى التحريم والتشدّد والتضييق .

٣- دلالة إظهار أمر خفي : الآيات في حديثها عن المشركين توضّح جهلهم بالتشريع ، وجهلهم بالوحي ، فهم ليسوا أهل كتابٍ ، ولم يأخذوا تحريمهم المزعوم من وحي شهدوه ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فالتحريم (والتشريع عامة) لا يكون إلا من الله تعالى ، وهو أمر يُطلِع الله تعالى عليه أنبياءه، ولذلك أكدت الآيات أنه وحي ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ والنبي يبلغه للناس، فالتشريع من الوحي ، والوحي أمر غيبي يكون بين الله تعالى ورسله، ويبلغ الرسول ما أوحى إليه ، فيُخرج للناس ما هو صدق ونفع وهداية لهم ، ففي الآيات دلالة إخفاء الاطلاع على الغيب (الوحي بالتشريع) لأن الذين يحرمون من عند أنفسهم لم يكونوا شهداء على الوحي، وإنما يظهره الله تعالى على لسان رسله.

الموضع الثالث: في رؤيا الملك في سورة يوسف:

وجاء الحديث عن البقرة في هذا الموضع مرتين أيضًا ، مرّة في إخبار الملك رؤيته للملأ الذين عجزوا عن تفسيرها ، والمرة الثانية عندما أخبروا يوسف عليه السلام بهذه الرؤيا حيث أوّلها بما عّلمه الله تعالى ، يقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [يوسف: ٤٣]، ويقول سبحانه: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [يوسف: ٤٦]، وفي هذه الآيات نلاحظ الدلالات الآتية :

١- دلالة الحديث عن بني إسرائيل: فقد جاءت أحداث هذه الرؤيا إنقاذاً لشعب مصر والأمصار الأخرى من القحط المقبل ، وإظهارًا لبراءة يوسف عليه السلام ونبوته ، ويوسف عليه السلام هو ابن إسرائيل عليه السلام ، والسورة تقص ما حدث له ولأبيه، وما حدث من بني إسرائيل (إخوة يوسف) ثم كيف استقر بهم الترحال في مصر ، ليكون منهم شعب بني إسرائيل الذي عاش في مصر وبعث الله تعالى لهم نبيه موسى عليه السلام ، فالآيات ذات صلة ببني إسرائيل ، لأن يوسف وإخوته هم بنو إسرائيل الأوائل ، وهذه الرؤيا التي فسرها يوسف كانت سببًا لمجيء بني إسرائيل إلى مصر ، وإكرامهم والاستقرار فيها .

٢- دلالة الانتقال من الإطلاق إلى التقييد : يلاحظ من وصف البقرات في الرؤية ومن تأويل الرؤية أن هناك سبع بقراتٍ سمانٍ تأويلها سنوات الخير والرخاء، ثم يعقبها بقرات عجاف يأكلهن السمان ، وتأويلها سبع سنين شداد مقحطة ، وهذا يدل على وجود يسر ورخاء في العيش يسبق العسر والشدة ، فهناك انتقال من حال اليسر والرخاء إلى حال العسر والشدة ، وهذه هي إحدى الدلالات الملازمة لاسم (بقر) في المواضع الأخرى مع تغاير مضامينها عن هذا الموضع ، والآيات هنا في سورة يوسف جاءت بوصف (شداد) الذي ينطبق في معناه على تشدد بني إسرائيل في أوصاف البقرة في موضع سورة البقرة ، وتشدّد المشركين في التحريم على أنفسهم ، والتشدّد على اليهود في التحريم لبغيهم على أنفسهم في موضع سورة الأنعام ، فالوصف (شداد) أكد دلالة التشدّد الموجودة في المواضع الأخرى ، فضلاً عن دلالة الانتقال من اليسر إلى العسر ، وكان من الممكن أن توصف السنين بالجدب أو الفقر أو العسرة ، لكن الآيات جاءت بهذا الوصف (شداد) الذي يحمل في طياته دلالة تشدّد الإنسان على نفسه ، وهو فعلاً ما كان في زمن يوسف عليه السلام حيث فرض سياسة الاقتصاد والادخار على الناس، فكان هناك تشدّدٌ في إعطاء الإنسان قدر حاجته لحين أن تمرّ سنين القحط دون حدوث وبال الفقر والمجاعة .

٣ـ دلالة إظهار أمر خفي : ونجد في الآيات دلالة وجود أمر خفي يظهره الله تعالى على يد نبي من أنبيائه، هذا الأمر الخفي (الغيبي) هو ما يحدث لخمس عشرة سنة مقبلة، وتمثلت صورته المبهمة في الرؤيا، وظهر تفسيره على لسان يوسف عليه السلام.

ففي هذه المواضع الثلاثة جاء اسم (بقر) تسع مرات في مضامين متغايرة ومع لزوم دلالي واحد وذلك بملازمة كل موضع دلالة الحديث عن بني إسرائيل، ودلالة الانتقال من اليسر والإطلاق (ذبح أية بقرة، إباحة أكل البقر، سنين الخير) إلى التضييق والتشدّد (صفاتٍ للبقرة التي تذبح ، تحريم جزء من البقر ، سنين شداد) ودلالة وجود أمرٍ خفي (قاتلُ النفس ، ما حرمه الله من الأنعام ، الرؤيا التي تنبئ بالمستقبل) ويظهره الله تعالى على يد أحدٍ من أنبيائه .

فهذه المواضع تغايرت مضامينها فالأول يتحدث عن أمر الله تعالى لبنى إسرائيل بذبح بقرة ، والثاني يتحدّث عن تحريم المشركين جُزءًا من الأنعام على أنفسهم ، وتحريم الله تعالى على اليهود جُزءًا من البقر لبغيهم على أنفسهم ، والثالث يتحدّث عن تأويل يوسف لرؤيا الملك ، فإذا كان قارئ القرآن الكريم لا يبحث عن لزوم دلالي يربط بين مواضع اسم بعينه ، فإنه لن يذهب إلى هذا الإحكام في وجود صلات دلالية بين هذه المواضع .

وهذه الصلات الدلالية (اللزوم الدلالي) تؤدي رسالة تُستفاد من هذه القراءة الأفقية للمواضع الثلاثة ، حيث يفيد هذا اللزوم الدلالي ألاّ يتشدد الناس على أنفسهم بظلمهم أو شركهم أو تحريم ما لم يحرمه الله تعالى ، وإنما يكون حالهم في اعتدال وطاعة لله تعالى ، دون تجاوز بقتل النفس ، أو تحريم المباح أو إسراف في الإنفاق يضيع ما يُدخر لحين الحاجة، فالمواضع الثلاثة تأمر بالاعتدال دون التشدد الذي يقترن بالظلم والبغي .

- **عِجْل :**

جاء اسم (عجل) في القرآن الكريم عشر مرات ، ويراد بالعجل في ثمانِي مرات العجل الذي عبده بنو إسرائيل ، ويراد بالعجل في مرتين العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام طعامًا للملائكة عليهم السلام ، وبذلك يمكن تقسيم هذه المواضع التي ورد فيها العجل كما يلي:

أولاً : مواضع العجل الذي عبده بنو إسرائيل :

وقد جاء الحديث عن هذا العجل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٥١]، وفي المواضع الآتية (البقرة : ٥٤ ، ٩٢، ٩٣ ، النساء : ١٥٣، الأعراف : ١٤٨ ، ١٥٢ ، طه : ٨٨).

ثانياً : مواضع العجل الذي قدَّمه إبراهيم عليه السلام للملائكة :

وجاء الحديث عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود:٦٩]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات:٢٦].

ويلاحظ في وصف القرآن الكريم لكلٍ من عجل بني إسرائيل، والعجل الذي قدمه إبراهيم، وفي سياق مواضع كل منهما؛ وجود عدة دلالات مشتركة كوّنت اللزوم الدلالي لاسم (عجل) هذه الدلالات هي:

١- عدم نفع العجل لمن قُدّم إليهم : حيث لم يستفد بنو إسرائيل من هذا العجل، فهو عجل مصنوع من ذهب ، فهو ليس للأكل ، قدّمه إليهم السامري ليعبدوه، فهو شرٌ لهم ، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طـه:٨٩]، كما أنهم لم يستفيدوا بهذا الذهب الذي صنع منه العجل ، لأن موسى عليه السلام حرقه وألقاه في اليم ، يقول تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طـه:٩٧]، فلم ينتفع بنو إسرائيل من العجل لا أكلاً ولا ذهبًا ، وكذلك حال العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة ، إذ لم يأكلوا منه ، ولم يحقق الغرض الذي أراده إبراهيم عليه السلام من تقديمه لهم ، فلم ينتفع الملائكة بشيء من هذا العجل .

٢- وجود أثر الرسول على العجل : فقد صنع السامري العجل الذي عبده بنو إسرائيل من الحُلِيّ الذي أخرجوه معهم من مصر ، وبعدما صنعه ألقى عليه قبضة من تراب أخذه من أثر الرسول ، وهو جبريل عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ

إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طـه:٩٦]،

وعن تفسير هذه الآية يقول الرازي: ((عامة المفسرين قالوا المراد بالرسول جبريل عليه السلام ، وأراد بأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته))[1] فالعجل الذي وصفه السامري كان عليه أثر من ملكٍ جاء وصفه في الآيات بأنه (رسول) فإذا نظرنا إلى العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة ، نجد أنه عِجْلٌ عليه أثر من إبراهيم عليه السلام؛ لأنه هو الذي قدمه للملائكة ، وينطبق على إبراهيم عليه السلام وصف (الرسول) ثم لهذا العجل صلة بالملائكة لأنه مقدّم إليهم وإن لم تصل أيديهم إليه، فكلا العجلين وقع عليهما أثر من الرسول (جبريل وإبراهيم عليهما السلام) وكلاهما له صلة بالملائكة .

٣- تقديم العجل لضيوفٍ على المكان : حيث صنع السامري العجل لبني إسرائيل وقدمه إليهم ليعبدوه بعدما خرجوا من ديارهم في مصر مع موسى عليه السلام ، وجاوزوا البحر ليمكثوا تجاه بيت المقدس ، وعندما تركهم موسى عليه السلام ليذهب لميقات ربه تعالى ، قدّم لهم السامري العجل ، فلم تكن تلك الأرض التي حلّ فيها بنو إسرائيل بأرضهم ، وإنما هم ضيوف على هذا المكان ، يقول ابن كثير: ((وهكذا عند أهل الكتاب ، فإن عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس))[1] فلم يكن موطن استقرار وإنما مكان ارتحال .

وقد قدّم إبراهيم عليه السلام العجل للملائكة بوصفهم ضيوفاً عليه، وهم من انفردوا في القرآن الكريم بهذا الوصف، يقول تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الذاريات:٢٤]، فلم تكن الملائكة في مكان بقاء لهم .

٤- عِظَم شكل العجل وتجسده بلا روح : فقد كان العجل الذي عبده بنو إسرائيل عجلاً ذا هيئةٍ مبهرة لأنه مصنوع من الذهب ، ووصفه القرآن الكريم بأنه جسد له خوار ، أي جماد يحدث خوارًا ، وليس كائنًا حيًا يتفاعل مع الآخرين ، يقول

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ١١١/٢٢
(١) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ٢٨٤

تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فكان لهذا العجل شكل مُبْهِر .

وكذلك نجد الآيات تصف شكل العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة ، فتصرح بوصفه إظهارًا لِكرم الخليل عليه السلام ، فهو عجل سمين كما جاء وصفه في سورة الذاريات ، أي ليس بالهزيل وإنما له صورة مرضية، يقول ابن كثير: ((أي من خيار ماله))[1] وهو عجل حنيذ ، يقول الراغب: ((أي مشوي بين حجرين ، وإنما يفعل ذلك لتتصبب عنه اللزوجة))[2] فيأخذ بشوائه لون الصفرة المائل للحمرة (وهو لون الذهب الذي صنع السامري منه العجل) وهو بشوائه أطيب رائحة وألذ طعمًا وأشهى منظرًا فلكلا العجلين صورة مبهرة ، ويشبه عجل السامري العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام في أنه جسد بلا روح ، فالآيات تتحدث عن عجل الضيافة وهو في هذه الحالة التي أصبح فيها جسدًا بلا روح ، دون وصفه في الحياة، فليس حاله كحال البقرة التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ [البقرة :٧١]، إذ لم يأتِ وصف العجل في القرآن الكريم وهو كائن حي .

٥- صفة العَجَلَةِ للنبي مع أنها مشتقة لغة من مادة اسم (عجل) :

وهو من بديع القرآن الكريم ، إذ من أنماط الفصاحة والبلاغة اختيار اللفظ دون مرادفه لوجود معنًى يؤديه هذا اللفظ في السياق لا يؤديه المرادف له ، أما ما نجده في القرآن الكريم فهو أمر آخر ، وهو اختيار اللفظ لوجود معنًى في أحد مشتقات مادته ، ولا يؤدي هذا اللفظ هذا المعنى في السياق ، وإنما يرتبط هذا المعني بلفظ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٨١/٧
(٢) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ١٠٢

آخر في السياق ، ليكون اختيار اللفظ مع وجود هذا المعنى لغيره في السياق من باب المناسبة بين اللفظ وما يلازمه من دلالة ليست لازمة له في غير القرآن الكريم، وهذا ما نجده مع اسم (عجل) الذي يعرِّفه ابن منظور بقوله: ((والعجل ولد البقرة والأنثى عجلة))[٣] فإذا كان اسم (عجل) يطلق على ولد البقرة ، فإن المادة التي اشتق منها وهي مادة (عجل) اشتق منها كذلك اسم (العَجَلَة) بمعنى السرعة ، غير أن استعمال البشر لاسم (عِجْل) الدال على الحيوان لا يكون باقتران دلالته بدلالة السرعة ، فهو لا يدل على السرعة في استعمال البشر ، وكذلك في استعمال القرآن الكريم ، حيث لا نجد في الآيات إطلاق اسم (عِجْل) على الحيوان للدلالة على وصفه بالسرعة أو نحو ذلك ، وإنما نجد القرآن الكريم بأسلوب بديع يأتي بدلالة السرعة لغير العجل (الحيوان) حيث جاءت دلالة السرعة مع استعمال العِجْل الذي عبده بنو إسرائيل في وصف استعجال موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه:٨٣ ـ٨٤]، ونجد دلالة السرعة مع استعمال العجل الذي قدمه إبراهيم عليه السلام للملائكة في وصف سرعة إحضار إبراهيم عليه السلام للطعام، يقول تعالى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود: ٦٩]، فأسلوب الآية يصور سرعة إعداد إبراهيم عليه السلام للطعام ، إذ لو لبث (مكث) قليلاً لعلم من ضيوفه أنهم ملائكة لا يأكلون ، لكنه تعجل لعبادة إكرام الضيف ، وهو ما وُصف به أيضًا في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات:٢٦] يقول ابن كثير:((أي انسل خفية في سرعة))[١] فنجد دلالة العجلة (السرعة) وصفًا لإبراهيم ولموسى عليهما السلام ، وليست وصفًا للعجل ، مع أن دلالة العجلة (السرعة) مشتقة من

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجل) ٤٢٩/١١
(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٧ / ٢٨١

مادة (عجل) التي اشتق منها اسم (عِجل) الدال على الحيوان ، فإذا كان من الفصاحة والبلاغة استعمال اللفظ لأدائه معنى من المعاني الدقيقة له لا يؤديه غيره، فإن اللزوم الدلالي يختلف هنا عن ذلك ، إذ يأتي باللفظ مجاورًا لِلَفظٍ يؤدي معنًى يناسب أحد مشتقاتِ اللفظ الأول ، فاسم (عِجل) في الآيات لا يؤدي معنى العجلة (السرعة) وإنما يجاور معنى العجلة الذي جاء في السياق وصفًا لغيره .

وممّا سبق يلاحظ أن اللزوم الدلالي لاسم (عِجل) تكّون من عدة دلالات هي: عدم نفع العجل لمن قدّم إليهم ، ووجود أثرٍ للرسول على العجل ، وله صلة بالملائكة، وتقديم العجل لضيوف على المكان ، وتصوير العجل في صورة مبهرة ، ووصفه بأنه جسد بلا روح ، وصفة العجلة (السرعة) للنبي المذكور في السياق وليست وصفًا للعجل .

ثعبان: (حيّة)

جاء اسم (ثعبان) مرتين في القرآن الكريم ، وهما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٦-١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٢-٣٤]، والآيتان تقصّ ما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون ، فانقلاب العصا هنا لثعبان مبين كان أمام فرعون.

وقد جاء اسم (حيّة) مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ [طه:١٩-٢٣)]، وهذه الآية تقصّ ما كان من الكلام بين الله تعالى ونبيه موسى عليه السلام ، حيث ناداه الله تعالى وأمره أن يلقي عصاه فانقلبت حية تسعى .

فهناك فرق في استعمال اسم (ثعبان) عن استعمال اسم (حيّة) حيث جاء اسم (ثعبان) مع وصفه بالمبين أي الظاهر ، وهو في مقام إظهار الآيات لفرعون وملئه ، فصارت العصا ثعبانًا غليظًا يُرهب ويُبهر من يراه ، أما اسم (حية) فقد جاء في مقام إعطاء الله تعالى لموسى الآيات لأول مرة ، واطلاع موسى عليها ليتعلّم كيف يظهرها فيما بعد ، فلم يكن هذا المقام – مقام كلام الله تعالى مع نبيه - في حاجة لآية عظيمة في الحجم مثل الثعبان ، وإنما أظهر الله تعالى لنبيه وجود الآيات بتحوّل العصا إلى حية تتحرك وتدب فيها الحياة ، وليس هناك حاجة لإظهار ضخامتها في هذا المقام ، أما في مقام الحديث مع فرعون تنقلب العصا لحيوان

ضخم ليكون ذلك أكثر إرهابًا لطاغية مثل فرعون ، ولأن هذا الحيوان فيما بعد سيلقف حبال السحرة وعصيهم التي تبدو كحيات صغيرة تسعى .

ولعلّ الفرق بين اسم (ثعبان) واسم (حية) من باب الفروق اللغوية بين المترادفات وليس من باب اللزوم الدلالي لكل اسم ، وإن كان ابن منظور يذكر أن هناك مَن لم يفرّق بين اسم (ثعبان) واسم (حية) يقول ابن منظور: ((الثعبان: الحية الضخم الطويل الذكر خاصة ، وقيل كل حية ثعبان))[1] وقد فرّق القرآن الكريم بوضوح فيما بين الاسمين ، إذ وصف الثعبان بالمبين الدال على الضخامة، ووصف الحية بأنها تسعى ، وأمر موسى عليه السلام بأخذها وهو ما يشير إلى عدم ضخامتها مثل الثعبان ، وكل ناسب المقام الذي جاء فيه، وسواء أكانت هذه التفرقة موضوعة في أصل اللغة أو أنها من استعمال القرآن الكريم للاسمين ، فإن ثمة لزومًا دلاليًا لاستعمال هذا الحيوان في القرآن الكريم، وهو ملازمته دلالة قلب عصا موسى عليه السلام إظهارًا لنبوته ، وذلك بقلبها حية في مقام تعليم موسى الآيات دون خوف ، وقلبها ثعبانًا مبينًا في مقام إظهار الآيات لفرعون ومن معه .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثعب) ١/ ٢٣٧

جــــــــراد

جاء اسم (جراد) مرتين في القرآن الكريم ، وذلك في الموضعين الآتين :

الموضع الأول : انتشار الجراد عقوبة لفرعون وأتباعه : وهو في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف:١٣٢- ١٣٣]، وهو بيان لما أرسله الله تعالى من رجز على فرعون ومن معه إنذارًا لهم بما هو أشدّ ، فكان الجراد ومعه الطوفان وغيره من العذاب الأدنى ، فهرعوا إلى موسى عليه السلام يطلبون منه أن يدعو الله تعالى ليرفع العذاب عنهم ، يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤]، لكنهم استمروا بعدها في كفرهم وعنادهم مع موسى عليه السلام، واتهامهم له بالسحر .

الموضع الثاني : الجراد المنتشر مثال للخروج للحساب والعقاب في خطاب الكافرين : وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر: ٤– ٩]، والجراد هنا تشبيه لحال بعث الكفار من القبور .

ويلاحظ في كلا الموضعين عدّة دلالات مشتركة هي :

١- توجيه الخطاب للكافرين : فالجراد جاء في سورة الأعراف عقابًا لفرعون وأتباعه ، وجاء الجراد في سورة القمر في تشبيه بعث الكافرين للحساب يوم القيامة ، فالآيات في سورة القمر تخاطب الكفار، ويعود الضمير في (أبصارهم، يخرجون، كأنهم) على الكفار مع أن الخروج من القبور ليس مقصورًا عليهم ، فالآيات تتوعدهم وتوجّه الخطاب إليهم .

٢- إرسال الآيات الحسية المشاهدة وادّعاء الكافرين أنها سحر : فقد جاء الجراد في سورة الأعراف بوصفه من الآيات المفصّلات ، أي آيات ظاهرة ومتعدّدة، وهو من الآيات الحسية المشاهدة التي قابلها فرعون وأتباعه بادّعاء أنها سحر ، وتخبر الآيات في سورة القمر أن الذين كذبوا رسالة محمد ﷺجاءتهم أنباء السابقين ، وأنذروا بالعذاب ورأوا من الآيات الظاهرة الحسية التي يقول عنها الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝﴾ [القمر:١-٢]، فالآيات تتحدث عن آية حسية ومعجزة أيّد الله تعالى بها رسوله محمدًا ﷺ ، وقد ذكر ابن كثير اتفاق العلماء على وجود هذه المعجزة في زمن الرسول ﷺ ، وذكر الأحاديث الصحيحة التي تحدّثت عن معجزة شق القمر ، ومنها ما رواه البخاري عن أنس مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما [1] ، وسورة القمر تصف أخبار السابقين بأنها أنباء وحكمة بالغة ، ومع ذلك أعرض الكفار عنها ووصفوا نبيهم بالسحر ، مثلهم مثل فرعون ومن كفر معه بعدما جاءهم موسى بالآيات المفصلات والنذر .

٣ – معرفة الداعي إلى الحق واللجوء إليه : فالسياق يذكر في سورة الأعراف أن أتباع فرعون توجهوا إلى موسى عليه السلام عندما نزل بهم العذاب يسألونه أن يدعوا الله لهم بكشف العذاب ، يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٤/٧

رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ونجد هذه الدلالة في سورة القمر ، فالآيات تصف الكفار بأنهم يهرعون إلى الداعي يقول تعالى : ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ [القمر:٨]، ويعرفون وقتها أن هذا اليوم يوم عسير عليهم ، فهو مماثل لما حدث مع موسى عليه السلام في موضع سورة الأعراف، ففي كلا الموضعين جاء وصف الكفار بإسراعهم إلى الداعي ومعرفة أن الحق معه.

٤- عقوبة الغرق بالطوفان وحدوثه من جهتين وبقاء آية تدل عليه :

جاءت عقوبة الغرق بالطوفان أو بمثيله (اليم) في موضع سورة الأعراف مرتين ، الأولى : بإرسال الطوفان مع الجراد على أتباع فرعون دون إهلاكهم، والثانية : بإغراقهم مع فرعون في اليم ، يقول تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝١٣٦ ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، ويلاحظ أن غرق فرعون ومن معه في اليمّ كانت له كيفية خاصة ، حيث انفلق اليمُّ فِرقين وعندما مرّ فرعون ومن معه بينهما اجتمع كل فرق بالآخر ، وهذه الصورة ينبغي أن نتخيلها لأنها تُظهر أن غرق فرعون أشبه بالطوفان ، حيث لم يُلقَ فرعون في البحر ، وإنما تحول البحر ليابسة ثم جاءه الماء من جهتين ، وقد أخرج الله تعالى بدن فرعون ليكون لمن خلفه آية ، وهذه الصورة تشبه الطوفان الذي تتحدث عنه سورة القمر في موضع اسم (جراد) فبعد تشبيه خروج الكفار من القبور بالجراد في موضع سورة القمر جاء الحديث مباشرة عن قوم نوح وعقابهم غرقًا بالطوفان ، يقول تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ ﴾ [القمر : ٩-١٥]، والسياق يربط بين الكافرين الذين شبهت خروجهم بالجراد وقوم نوح بقوله تعالى (كذبت قبلهم) وجاء وصف ماء الطوفان في سورة القمر بأنه من جهتين ، من جهة السماء ومن جهة الأرض ،

ثم التقى الماء من كلتا الجهتين، كما هو حال ماء البحر الذي غرق فيه فرعون حيث التقى الماء من كلتا الجهتين، وانقسام البحر إلى فرقين يشبه انقسام القمر إلى شقين ، ولقد ترك الله تعالى للناس آية من غرق قوم نوح ، يقول ابن كثير : (("ولقد تركناها آية" : يقول قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة ، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن))[1] فالسياق يذكر أن الله تعالى أبقى آية تدلّ على غرق قوم نوح كما أبقى آية تدل غرق فرعون لمن خلفه ، ويؤكد الشبه بين طوفان قوم نوح وطوفان فرعون أن اسم (الطوفان) لم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين ، مرّة في سورة الأعراف لفرعون وأتباعه ، يقول تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ومرّة لقوم نوح يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت:١٤]، فاسم (جراد) في سورة الأعراف وفي سورة القمر اقترن بالطوفان والإهلاك بالغرق، مع تقارب صورتي الغرق .

٥- صفة الانتشار ودلالة التجرّد من النعيم والزينة : فالجراد كان عقوبة لأتباع فرعون ، ومعنى أن يكون الجراد عقوبة أنه كان كثيرًا ومنتشرًا ، يأكل زروع مصر التي وصفها القرآن بأنها جنات ونعيم ، يقول الزمخشري : ((فبعث الله عليهم الجراد ، فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت ، والثياب))[2] وتقترن دلالة انتشار الجراد بدلالة التجريد ، ليس فقط مما ذكره الزمخشري من أكل الجراد لسقوف البيوت والثياب ، وإنما من دلالة أكل الجراد للزروع ، وهو من آثار هجوم الجراد حتى يومنا هذا ، حيث تتجرّد الأرض الخضراء من زينتها لتصبح صعيدًا جرزا ، فزينة الأرض وكسوتها هي الزروع ، ولذلك يقول تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ [السجدة:٢٧]، فإرسال الجراد عقوبة لفرعون وأتباعه يدل على أن الجراد جرّد أرضهم من الزروع والثمار ، وبذلك يستثمر القرآن الكريم الدلالة اللغوية التي

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٦/٨
(٢) الزمخشري ، الكشاف ،١٩٢/٢

اشتق منها اسم الحيوان (الجراد) لتكون هي الغرض من وجود هذا الاسم في هذا السياق، فإذا كان اسم (جراد) اشتق من مادة (جرد) الدالة على التجريد وهو التعرية ونزع ظاهر الشيء ، فإن اسم (جراد) جاء في السياق ليؤدي دلالة تجريد فرعون وأتباعه من زينة الزروع ومُلْك الثمار ، لتكون هناك مناسبة بين دلالة مادة الاسم والسياق الوارد فيه في القرآن الكريم ، وهذه المناسبة ليست لازمة للاسم في غير القرآن الكريم ، فعندما نقول : خلق الله تعالى الجراد وهو نوع من الحشرات له ست أرجل ، فإن ذلك السياق لا يربط بين دلالة التجريد واسم الجراد ، فالقرآن الكريم يستثمر المادة اللغوية للاسم ويجعلها من لوازمه في السياق على الرغم من أنها ليست من معاني الاسم في غير القرآن الكريم .

وصرّحت الآيات في سورة القمر بصفة الانتشار للجراد ، يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧]، والمعنى الظاهر من هذا التشبيه هو : خروج الناس من قبورهم في كثرة وتتابع وسرعة ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج:٤٣]، وذكر الرازي احتمال لفظ (منتشر) لمعنى آخر مأخوذ من النشر والنشور أي الخلق والتكوين من جديد فيقول: ((الجراد المنتشر في الكثرة والتموّج ، ويحتمل أن يُقال المنتشر مطاوع نشره إذا أحياه))[1] وهو لا يتعارض مع دلالة الانتشار على الكثرة والتتابع والسرعة يوم الخروج ، فصفة الانتشار تُظهر وجه الشبه من التشبيه بالجراد ، ومع دلالة الانتشار نجد أيضًا دلالة التجريد ؛ فالناس يُبعثون من قبورهم مجرّدين من كل شيء كما خلقوا أول مرة ، ويكونوا مجرّدين في يوم الحشر العظيم من الأموال والثياب كما بيّنته الأحاديث النبوية الشريفة ، وبذلك نجد أن القرآن الكريم يستثمر دلالة مادة اسم (جراد) على التجريد (التعرية) بأن يستعمل الاسم في سياق يدل على معنى التجريد ، فهناك مناسبة بين دلالة المادة اللغوية للاسم والسياق المذكور فيه ، مع أنه لا يلزم في غير القرآن الكريم اقتران دلالة التجريد باسم (جراد) فهو استثمار بلاغي ولزوم دلالي خاص بالقرآن الكريم .

٦- دلالة اسم السورة على مضمون الموضع الآخر : حيث جاء اسم (جراد) في الموضع الأول في سورة الأعراف التي سميت بهذا الاسم لأنها السورة الوحيدة التي تتحدّث عن مشهد الأعراف يوم القيامة ، يقول تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى

(١) الرازي ، التفسير الكبير ،٣٥/٢٩

ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأعراف:٤٦]، والسياق يتحدّث عن حوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وقد فصَل بينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يَعرفون أهل الجنة وأهل النار ، وكما أنهم ينادون أهل الجنة ينادون أهل النار، يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٨]، فالسياق الذي ورد فيه اسم سورة الأعراف يتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة يُعرف فيه الحق، ويُعرف فيه أهل الجنة بسيماهم وأهل النار بسيماهم، وهذا المضمون قريب من مضمون الموضع الثاني الذي جاء فيه اسم (جراد) في سورة القمر، حيث جاء اسم (جراد) في سورة القمر مع مضمون خروج الكفار من الأجداث يوم القيامة يعرفون ما كانوا عليه من الضلال ويعرفون أنهم في يوم عَسِر، فاسم سورة الأعراف التي جاء فيها اسم (جراد) يدل على مضمون الآيات التي جاء فيها اسم (جراد) في سورة القمر .

وسميت سورة القمر بهذا الاسم لحديثها عن آية انشقاق القمر التي جعلها الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ ، وهذا المضمون (تأييد الله تعالى لأنبيائه بإرسال المعجزات وإقامة الحجة بها على الكافرين) هو مضمون الآيات التي جاء فيها اسم (جراد) في سورة الأعراف ، حيث جاء اسم (جراد) في سورة الأعراف مع مضمون إرسال الآيات المفصلات (الطوفان ، الجراد ، القمل ...) معجزة لموسى عليه السلام، وحجة على فرعون وأتباعه ، فاسم كل سورة جاء فيها اسم (جراد) يدل على مضمون الموضع الآخر الذي جاء فيه اسم (جراد) .

وبذلك نجد أن اسم (جراد) جاء مع اللزوم الدلالي الآتي : توجيه الخطاب للكافرين، وإرسال الآيات الحسية المشاهدة وادّعاء الكافرين أنها سحر، و معرفة الداعي إلى الحق واللجوء إليه ، وعقوبة الغرق بالطوفان وحدوثه من جهتين ، وإبقاء آية بعد الإهلاك تدل عليه ، وصفة الانتشار والتجرّد من النعيم والزينة، ودلالة اسم السورة على مضمون الموضع الآخر.

- جمل : مع (إبل)
- جياد : مع (خيل)

حمار

جاء ذكر الحيوان المعروف باسم (حمار) في القرآن الكريم خمس مرات ، وقد جاء الاسم في ثلاث صيغ هي (حِمار، حُمُر، حمير) ونجد أن الاسم في صيغه الثلاث قد لازمته دلالة قيام الحمار بعملٍ ليس من شأنه في الأصل ، وهذا اللزوم الدلالي جاء في جميع المواضع ، وكذلك نجد دلالة تخصّ كل صيغة من الصيغ الثلاث ، وذلك كما يلي:

١ - صيغة المفرد (حمار) ودلالة إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث :

جاءت هذه الصيغة مرتين ، الأولى في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩]، وقد ذهب ابن كثير إلى أن القول المشهور عند المفسرين أن القرية هي بيت المقدس بعد تخريب بخت نصر لها وقتل أهلها ، وأن الرجل الذي مرّ عليها هو عزير عليه السلام ، وهو من أنبياء بني إسرائيل قدّسه اليهود [١] والآية تقصّ معجزة يراد بها إظهار قدرة الله تعالى على البعث والإحياء ، وجاء ذكر الحمار فيها لأنه كان كالأداة التي ظهرت عليها قدرة البعث والإحياء ، يقول ابن كثير: ((تفرَّقت عظام حماره حوله يمينًا ويسارًا فنظر إليها وهى تلوح من بياضها ، فبعث الله ريحًا فجمعتها من كل موضع من تلك المَحَلّة، ثم رَكّب كل عظم في موضعه حتى صار حمارًا قائمًا من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا))[٢] فيلاحظ أن الحمار حدث له ما لا يحدث لمثله ، حيث مات وبعث قبل وقت البعث والحساب ، ليكون آية لغيره على هذه القدرة ، فالحمار هنا يؤدِّي عملاً ليس معتادًا من مثله، فليس من شأن الحمار أن يبعث قبل البعث ثم يموت ثانية ، فالحمار استخدم لأداء وظيفة ليست من شأنه .

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٦٦ وتحدَّث ابن كثير بالتفصيل عن هذه القصة في كتابه: قصص الأنبياء ، ٣٩٤

(٢) نفسه ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٣٦٦

وجاء اسم (حمار) في المرة الثانية في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ ﴾ [الجمعة:٥-٦]، والآية تتحدث عن اليهود (بني إسرائيل) حيث تصفهم بعدم الاستفادة من التوراة المنزلة إليهم ، فقد حملوها من دون أن يفهموا مقاصد التنزيل وينصاعوا لأوامر الله تعالى، والسياق يصفهم بخوفهم الشديد من الموت لعلمهم بجرم ما هم عليه ، وتؤكد لهم الآيات لقاء الموت، يقول تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ ﴾ [الجمعة:٨]، فهذه الآيات في سورة الجمعة تشترك مع الموضع الأول في سورة البقرة الذي جاء فيه صيغة المفرد (حمار) في دلالات محددة، أولها: الحديث عن بني إسرائيل ، فإماتة عزير وحماره وإحياء كل منهما آية للناس، وهم وقتها بنو إسرائيل، فعزير من أنبيائهم وكان حافظًا للتوراة عالمًا بها ، وكذلك جاء الموضع الثاني في سورة الجمعة بالحديث عن بني إسرائيل ، وتشبيه عدم انتفاعهم بالآيات المنزلة إليهم.

كما يشترك الموضعان في الحديث عن البعث فالمراد من معجزة إحياء الحمار أن يتأكد بنو إسرائيل من البعث ، وهو ما جاء في الموضع الأول ، والتأكيد على لقاء الموت والبعث هو ما توجّه به السياق في خطابه لليهود في الموضع الثاني ، فصيغة المفرد (حمار) جاءت مع دلالة إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث ليؤمنوا به ويعملوا بما أنزل إليهم ، وهذه الآيات قريبه منهم .

ومع هذه الدلالة الملازمة لصيغة المفرد نجد اللزوم الدلالي لاسم (حمار) الذي يلازمه في جميع صيغه ، وهو استخدام هذا الحيوان فيما ليس من شأنه القيام به أصلاً ، فليس من المعتاد أن يكون الحمار آية للبعث ، فيموت ويبعث قبل ميعاد البعث، وليس من شأن الحمار أيضًا أن يحمل الأسفار تشبيهًا له بمن يتحمّل التكاليف المنزلة في الآيات، فإن الحمار لن يُدرك مقاصدها، ولذا فإن حمله للأسفار

(الآيات) أداء لعمل ليس له ، وإنما هو في الأصل للإنسان العاقل المدرك الذي يحمل هذه الأسفار فيدرك معانيها ويعمل بمقتضاها، فالحمار في كلا الموضعين قام بعمل ليس من شأنه القيام به .

٢ - صيغة جمع الكثرة (حُمُر) ودلالة النفور من الوحي :

جاءت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢ ﴾ [المدثر:٤٩-٥٢]، وفي هذه الآية تشبيه للمعرضين عن الذكر الذي نزل نفعًا لهم، فهم يشبهون حمر الوحش المستنفرة التي تفرّ من الرماة أو الأسد، يقول الزمخشري: ((ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب))[1] وتنفرد هذه الصيغة بدلالة النفور من الوحي، ويلاحظ أن هذه الصورة التشبيهية تفيد أن الكفار يفرون من الوحي ويخافون من الإقبال عليه، وهذا العمل ليس هو المطلوب منهم ، كما أن كل واحد منهم أراد الوحي لنفسه، وليس ذلك هو المطلوب منهم ، فهم مأمورون بالإيمان بالوحي وليس البحث عن شرف الرسالة لكل واحدٍ منهم ، فالكفار الذين شبهوا بالحُمُر يؤدون عملاً ليس لهم أن يقوموا به أصلاً ، فالأصل أن يعوا التذكرة ويؤمنوا بها ويقبلوا على ما فيه نفع لهم، لكنهم نفروا منها ، وأرادوا ما ليس لهم القيام به وهو تلقي الصحف المتضمنة الوحي ليكون ذلك من باب الوجاهة والرياسة لكل واحدٍ منهم .

فالحُمُر جاءت في الآيات تشبيهًا للذين يعملون عملاً ليس لهم القيام به ، ويريدون القيام بعمل ليس من شأنهم وهذه الدلالة هي الدلالة الملازمة لاسم (حمار) في جميع مواضعه .

٣ - صيغة الجمع (حمير) ودلالة الزينة والانتقال من المكان :

جاءت هذه الصيغة مرتين ، الأولى في قوله تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (النحل:٨) وهذه الآية في سياق امتنان الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم حوائجهم الأساسية كاحتياجهم لركوب الدواب في

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ٥٠٤

الأسفار ، وخلق لهم أيضًا منافع ثانوية كالزينة ، فالإنسان يستطيع أن يعيش من غير زينة ، لكن الله تعالى أراد أن ينعم على خلقه بالكمال المتمم لنعمه ، فأنعم عليهم بما لا يحتاجونه ويكون فيه حُسن وجَمال ومتعه لهم .

ويلاحظ أن الخيل والبغال والحمير وإن اشتركت في أداء وظيفة ركوب الإنسان عليها إلا أنها لا تتساوى في سرعتها ، ولا تتساوى كذلك في أداء وظيفة الزينة ، بل إن الناس في المعتاد تتعلّق بالخيل في الحُسن والجَمال، ولا يكاد أن يكون للحمير من زينة يلتفت الناس إليها ، ومن ذلك يلاحظ أن وصف الحمير في هذا السياق جاء مع أداء الحمير لوظيفة ليس من شأنها أصلاً وهى الجَمال والزينة، فهي تشترك مع الخيل والبغال في أداء وظيفتيّ الركوب والزينة إلا أنها أقل شأنًا من سابقيها ، وهو ما يؤكده تأخير اسم الحمير عن الخيل والبغال ، فالزينة في الأصل للخيل خاصة المسوّمة، ولذلك قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران:١٤]، وأن يكون في الحمير من زينة فذلك ليس مما يُناط بها في الأصل.

وجاء الموضع الثاني لصيغة (حمير) في قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٩]، وهذه الآية من وصايا لقمان عليه السلام لابنه ، وهى وصية لكل المؤمنين إذ أوصى الله تعالى بها لقمان وذكرها في معرض الثناء عليه في القرآن الكريم ، وهذه الوصية تأمر بخفض الصوت ليكون غضًا أي حسنًا مقبولاً ومريحًا في سماعه ، فهو أمرٌ بالحُسن والجمال وليس أمرًا ضروريًا بدونه تفسدُ حياة الإنسان كالأمر بالتوحيد وبرّ الوالدين ، فالأمر بغضِّ الصوت ومن قبله الاعتدال في المشي أمر بمراعاة التلطُّف وتتبع الحسن ، واستكمالٌ لأخلاق الإنسان بما فيه زينة له بعدما استقام على التوحيد وأقام الصلاة .

والآية إذ توصي بهذا الحُسن (اغضض من صوتك) زينة للإنسان وتجعله مقترنًا باعتداله في المشي زينة وبهاءً في هيئته ؛ تحذر من الصوت المرتفع الصارخ ، فهو مستقبح منكر لا قيمة له ولا فائدة مرجوة منه ، فهو يشبه صوت الحمير المنكر في قبحه والصارخ دون نفع ، فهذا الصوت يؤدي عملاً ليس له أن يؤديه أصلاً ، فالأصل أن يكون الصوت غضًا جميلاً وأن يكون نافعًا مُفهمًا ، أما هذا الصوت المنكر فهو يؤدي عملاً آخر وهو القبح والإزعاج، وهذا العمل ليس منوطًا به صوت

الإنسان الذي تحذره الآيات أن يشبه الحمير في أداء عملٍ ليس للصوت أن يقوم به أصلاً .

ففي كلا الموضوعين نجد لزومًا دلاليًا لصيغة (حمير) وهو استكمال احتياجات الإنسان بالزينة والحسن والجمال ، إما بتصريح حصول الزينة من الدواب المسخرة لركوب الإنسان عليها، أو بالأمر بالحُسن والزينة بغضِّ الصوت واعتدال المشية ، ففي ذلك جمال وزينة للإنسان.

كما يلاحظ أن في كلا الموضعين اقترن الحديث عن الزينة والجمال بانتقال الإنسان من مكان لمكان ، فالموضع الأول في سورة النحل يتحدث عن انتقال الإنسان بالخيل والبغال والحمير التي يركبها وله فيها زينة ، والموضع الثاني في سورة لقمان يصوّر تنقّل الإنسان بالمشي ، وهو قسيم الركوب في التنقل ، وجاء ذلك مع الأمر بالاعتدال (القصد) في المشية وهو ما يُزيّن الهيئة ويدلّ على الهيبة والوقار، ومع الأمر بغضّ الصوت الذي يزينه في مسامع الآخرين، فصيغة (حمير) جاءت مع دلالة الزينة المقترنة بالانتقال من مكان إلى مكان ، حتى وإن لم يكن هذا الانتقال بالحمير ، ليكون اللزوم الدلالي موجودًا مع الاسم وإن لم يقتصر وقوعه على الاسم، فاللزوم الدلالي يأتي مع تغاير المضامين .

وإذا كانت دلالة الزينة والانتقال تختصّ بصيغة (حمير) فإن اللزوم الدلالي لاسم (حمار) بجميع صيغة نجده في هذه الموضعين أيضًا ، فنجد فيهما دلالة أداء الحمار أو من يتشبه به عملاً ليس له أن يؤديه أصلاً ، فليست الزينة عملاً مرجوًا من الحمير أصلاً ، وإن وُجدتْ فيه نزرًا ، ولم يُجعل صوت الإنسان للعويل المنكر والصراخ المستقبح .

فاسم (حمار) جاء في ثلاث صيغ لازمته دلالة أداء الحمار ـ أو من هو مَثَلٌ له ـ عملاً ليس له في الأصل ، كما لازمت كل صيغة دلالة : فصيغة المفرد (حمار) جاءت مع إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث والتي تؤكد قرب الموت والبعث منهم، وصيغة (حُمُر) جاءت مع نفور الكفار من الوحي ، وصيغة (حمير) جاءت مع الزينة وانتقال الإنسان من مكان إلى آخر.

حوت: (نون)

جاء اسم (حوت) في القرآن الكريم خمس مرات ، وقد تنوّع الحديث عن الحوت في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع ، فجاء الحديث عن الحوت الذي كان طعامًا لموسى عليه السلام وفتاه ، وعن الحوت الذي التقم يونس عليه السلام ، وعن الحيتان التي كانت تأتي يوم السبت شرعًا أمام القرية حاضرة البحر ، وفى دراسة مواضع هذه الأنواع نلاحظ اللزوم الدلالي لاسم (حوت) وذلك كما يلي:

أولاً : حوت موسى عليه السلام :

حيث جاء اسم (حوت) مرتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنْسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف:٦١-٦٣]، وقد كان هذا الحوت طعامًا لموسى عليه السلام وفتاه ، وقد نسي كل منهما هذا الطعام في مكان ما تجاوزاه ، وهو ما دفعهما إلى الرجوع إلى هذا المكان ، وقد كان وراء هذا الرجوع غرض آخر أراده الله تعالى ، وقد أفصح عنه موسى عليه السلام عندما قال: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف:٦٤]، حيث كان رجوع موسى عليه السلام إلى هذا المكان سببًا في لقائه بالخضر عليه السلام وجرت بينهما القصة المذكورة في سورة الكهف ، والتي ظهر فيها عدم استطاعة موسى عليه السلام تحمُّل الصبر الذي يمكنه من متابعة رفقة الخضر عليه السلام ، والآيات صرحت بذلك عدّة مرات إذ يقول الخضر لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف:٦٧]، وكذلك في الآيات (٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢) وغيرها من الآيات التي تؤكد على أن موسى عليه السلام لم يستطع تحمّل مزيد من الصبر ، وهو ماجاء في الحديث الشريف في قول رسول الله ﷺ : ((يرحم

الله موسى ، لوددنا لو صبر حتى يقصّ علينا من أمرهما))[1] وهذا ما يدل دلالة واضحة على عدم تحمّل موسى لمزيدٍ من الصبر ، ولابد أن يشار إلى أن عدم تحمّل هذا النبي الكريم لمزيدٍ من الصبر كان وراءه دافع قوي ، وهو غيرته الشديدة على حدود الله تعالى ، فقد كان يتعجب ويستنكر أفعالاً في ظاهرها معصية لله تعالى .

ودلالة نفاد صبر موسى عليه السلام ليست فقط دلالة صريحة في السياق الذي ورد فيه اسم (حوت) وكان نسيان الحوت سببًا في حدوث هذا اللقاء الذي ظهرت فيه هذه الدلالة ؛ وإنما أيضًا نجد دلالة تحمّل الصبر تفسِّرُ الغرض من أن يكون نسيان الحوت والعودة ثانية في سبيل البحر سببًا في لقاء الخضر ، إذ كان من الممكن أن يحدث لقاء موسى مع الخضر عليهما السلام دون الحاجة للعودة في طريق أمضى فيه موسى وقته ، ولكن كان هذا الرجوع وتحمّل المشقة تعليمًا من الله تعالى لموسى عليه السلام الصبر ، وقد كان موسى عليه السلام صابرًا في سبيل تحصيل العلم والخير ، فما حدث من ارتداد موسى عليه السلام وفتاه في البحر فيه دلالة على صبر موسى عليه السلام ، لتوضّح الآيات بعدها دلالة نفاد صبره عليه السلام ، فلم يتحمّل اتباع عبدٍ آتاه الله تعالى علمًا من لدنه ، فكانت عاقبة نفاد صبر موسى عليه السلام أن فقد رفقة الخضر والتعلم من عِلْمه ، وكان موسى عليه السلام مُلومًا في ذلك من الخضر ، وإن كان نفاد صبره لدافع قوي لم يستطع تحمله.

ثانيًا : حوت يونس عليه السلام :

وقد جاء اسم (حوت) للحوت الذي التقم يونس عليه السلام مرتين ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القلم:٤٨]، وهذه الآيات التي تتحدث عن قصة يونس عليه السلام تحمل دلالة على

(١) البخاري، صحيح البخاري ، ٢٥٥/٣ (٤٧٢٥) ومسلم ، صحيح مسلم ، ١٣٥/٨ (٢٣٨٠)

نفاد صبر يونس عليه السلام ، فالآيات تأمر بالصبر ، وتنهى عن فقدانه مثلما حدث من يونس عليه السلام ، وقد كان لنفاد صبره دافع قوي ، وهو إصرار قومه على الكفر ، فلم يتحمّل البقاء معهم وهم على عنادٍ وكفر جلب عليهم العذاب الشديد كما يقول تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس:٩٨]، ومع ذلك كان نفاد صبره ملومًا ، فالآيات تصفه بأنه مليم ، يقول الزمخشري: ((أي داخل في الملامة))[1] وقد مكث يونس عليه السلام في بطن الحوت عدة أيام ليعلمه الله تعالى الصبر وأن كل شيء عنده بمقدار ، وليدرك خطأه في نفاد صبره .

ثالثًا: حيتان يوم السبت :

وجاء اسم (حوت) مجموعًا وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٣]، وتتحدث سورة الأعراف عن النعم التي أنعمها الله تعالى على بني إسرائيل لما صبروا في أول الأمر ، يقول تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ثم تتوالى الآيات لتتحدث عن المخالفات التي فعلها بنو إسرائيل مع نعم الله تعالى عليهم المتتالية كالمنّ والسلوى، وهو ما يُذكِّر بعدم صبرهم حتى على هذه النعم فسألوا ما هو أدنى منها ، ثم تأتي الآية التي جاء فيها اسم (حيتان) لتبيّن أن الله تعالى أنعم على هذه القرية بنعمة عظيمة وهى أنها حاضرة البحرة، أي مجاورة للبحر ميسر على أهلها الصيد، وكان مِن لوازم هذا التيسير أن يُمنعوا (يحرّم عليهم) الصيد يوم السبت ليدركوا نعمة سهولة الصيد بقية الأيام ، لكن أهل هذه القرية لم يصبروا على ذلك .

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٩٤/٣

والآية التالية لهذه الآية تذكر أن هناك مَن صَبَر على إرشاد المخطئين وهناك مَن لم يصبر على تقديم النصح لهم ، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤]، فهذه الآية التي تتحدث عن مَن لم يصبر على وعظ العصاة تماثل الحديث عن يونس عليه السلام مع قومه .

ويذكر السياق عقاب هذه الطائفة العاصية من اليهود ، وهو جعلهم قردة، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٦]، ولعلّ في هذا العقاب مناسبة لجنس المعصية ، فالمعصية كانت نفاد صبر أهل هذه القرية وتنقلهم للصيد يوم السبت في البحر ولم يظلوا مكانهم يوم السبت دون صيد، فعوقبوا بأن صاروا قردة، وهذا الحيوان خاصة معروف بكثرة حركته ، فهو لا يمكث على حال ثابتة ، فكأن عدم صبرهم وعدم مكثهم يوم السبت جزاؤه كثرة الحركة دون مكث أو صبر على حالة واحدة ، وارتباط هذا العقاب بهذه المعصية هو ما جاء في سورة البقرة أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة:٦٥]، وهو ما يؤكد أن عدم الصبر بالمكث يوم السبت عقابه التحوّل إلى هذا الحيوان المعروف بعدم الصبر، وهو أيضًا يؤكد دلالة نفاد الصبر في سياق اسم (حيتان) .

ويلاحظ أن نفاد صبر أهل القرية حاضرة البحر كان له دافع قوي يُفهم من وصف حال الحيتان يوم السبت بوصف (شُرَّعًا) فهذا اللفظ يصوّر منظر الحيتان في البحر وما كانت تثيره من مغريات ودوافع لفعل المُحرَّم وعدم تحمّل الصبر في ترك الصيد يوم السبت ، وذلك لا يبرر الخطأ فالإيمان يقوي عزيمة الصبر أمام هذه المغريات .

ففي الآيات التي ورد فيها اسم (حيتان) نجد دلالة نفاد صبر أهل هذه القرية، ونفاد صبر بعض من لم يشاركوهم المعصية، فتخلّوا عن وعظ قومهم .

فاسم (حوت) استعمله القرآن الكريم طعامًا لموسى عليه السلام في رحلته للخضر التي أظهرت له عجزه عن شديد الصبر ، وحِوَاءً ليونس عليه السلام إذ

ذهب مغاضبًا فقدَ صبره ، وصيدًا شُرَّعًا يوم السبت لم يصبر على فواته أهل القرية، والاسم بذلك جاء مع لزوم دلالي هو دلالة نفاد الصبر لوجود دافع قوي، وهو ما يترتب عليه اللوم والمؤاخذة .

• نون :

اشترك اسم (نون) مع اسم (حوت) في الحديث عن قصة يونس عليه السلام وبقائه في بطن الحوت ، إلا أن القرآن الكريم فرّق بين الاسمين دلاليًا ، فجاء مع اسم (نون) بدلالة الاستجابة ليونس عليه السلام وتكريمه لتسبيحه ، يقول تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧ -٨٨]، فاسم (نون) مرادف لاسم (حوت) لأنه يدل على الحيوان نفسه الذي التقم يونس عليه السلام ، لكن القرآن الكريم يستعمل كل اسم منهما مع دلالة تغاير الآخر ، وهو ما يعدّ لزومًا دلاليًا لكل اسم ، وهذه التفرقة الدلالية بين الاسمين لاحظها الزركشي والسيوطي ، حيث ذهب كل منهما إلى أن (ذا النون) أشرف لقبًا من (صاحب الحوت) يقول الزركشي: ((فالإضافة بـ (ذي) أشرف من الإضافة بـ (صاحب) ولفظ (النون) أشرف من الحوت))[1] ويقول السيوطي: ((فإنه حين ذكر في معرض الثناء عليه أتى بـ (ذا) ... وليس في لفظ (الحوت) ما يشرفه بذلك ، فأتى به و(صاحب) حين ذكره في معرض النهي عن اتباعه))[2] فهذا التحليل البلاغي الذي يقدِّمه السيوطي هو التحليل البلاغي في البحث عن اللزوم الدلالي لكل اسم ، فلا توجد تفرقة لغوية بين اسم (حوت) واسم (نون) تقول بأن الأول في مقام النهي والتوبيخ، والثاني في مقام الثناء ، بل هو استعمال خاص بالقرآن الكريم الذي جاء باسم (حوت) مع النهي عن فقدان الصبر مثلما حدث من يونس عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ

(١) الزركشي، البرهان ، ١/ ١٦٢
(٢) السيوطي، الإتقان ، ١٩٦/٢

لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ [القلم:٤٨]، وجاء باسم (نون) مع ذكر صيغة دعاء يونس عليه السلام: (لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ومع التصريح بالاستجابة والنجاة من الله تعالى.

ومما يؤكد على أن اسم (نون) جاء هنا مع دلالة التشريف والثناء استعمال القرآن الكريم لهذا الاسم في مقام القسم الذي يدلُّ على التعظيم والاستحسان ، يقول تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم:١) وقد ذكر ابن كثير تعدد الآراء في معنى (نون) فقيل إنها حرف من الحروف المقطعة الدالة على عظم القرآن الكريم وإعجازه، وقيل إنها اسم للحوت أو اسم للدواة أو اسم للوح من نور[١]، وذكر ابن منظور تلك المعاني لاسم (نون) وزاد عليها:((النون شفرة السيف))[٢] ويذكر الكاشاني أنّ معنى اسم (نون) في اصطلاحات الصوفية: ((العلم الإجمالي في الحضرة الأحدية ، والقلم حضرة التفصيل))[٣] أي أن المقصود باسم (نون) علم الغيب ، وهو المقصود من تفسير النون بالدواة ، فعلم الغيب كالدواة يأخذ منها القلم بالتفصيل في كتابة ما سيكون ويطلعنا الله تعالى عليه بحصوله ، ومعنى الغيب والخفاء موجود في تسمية يونس وهو في بطن الحوت باسم (ذا النون) لأنه عليه السلام كان متخفيًا في غيب بطن الحوت وغيب البحر ، فاسم (نون) في استعمال القرآن الكريم له مرادفًا لاسم (حوت) يحمل دلالة الخفاء والغيب وهى أكثر مناسبة لمقام الثناء والتشريف الذي جاء فيه اسم (نون) من اسم (حوت) الذي يدل على الاحتواء الحسي أي السجن الحسي ، ولا يفيد إلا اسم الحيوان .

فإذا كان اسم (حوت) لازمته دلالة نفاد الصبر واللوم عليه، فإن اسم (نون) لازمته دلالة التشريف ، سواء كان من ذكره في مقام الثناء على يونس وذكر تسبيحه ، أو من قسم الله تعالى باسم (نون).

• حيّة : مع (ثعبان)

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٨/٧
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نون) ٤٢٩/١٣
(٣) الكاشاني، اصطلاحات الصوفية، ١١٣

خنزير

جاء اسم (خنزير) خمس مرات في القرآن الكريم ، أربع مرات منها في تحريم أكل لحم الخنزير، ومرّة واحدة في بيان عقوبة الله تعالى لفئة من اليهود إذ جعلهم خنازير ، ونجد في هذه المواضع الخمسة لزومًا دلاليًا للاسم وهو ما يلاحظ في دراستها كما يلي :

أولاً : مواضع تحريم أكل لحم الخنزير :

وقد جاء أول هذه المواضع في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [البقرة :١٧٣ - ١٧٤]، والحديث في هذا الموضع عن تحريم أكل لحم الخنزير يقترن بالحديث عن غضب الله تعالى على اليهود الذين يأكلون الحرام في بطونهم ، يقول ابن كثير:((﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعنى اليهود))[1] وقد جاء هذا الوعيد لهم في السورة نفسها مع وصف أكلهم المال الحرام، يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٧٩]، وهي في سياق الحديث عن أفعال اليهود .

وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة:٣]، وقد جاء هذا التحريم للحم الخنزير في سياق يتحدث عن

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٢٤٤

جواز الأكل من طعام أهل الكتاب ، ثم تتوالى الآيات في سورة المائدة في حديثها عن بني إسرائيل (اليهود) ونقضهم العهود وتحريفهم لكلام الله تعالى ، يقول سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ [المائدة:١٣]، والحديث هنا عن تحريفهم للكلم عن مواضعه مثيل لما جاء في سورة البقرة من شرائهم بآيات الله تعالى ثمنًا قليلاً ليأكلوا في بطونهم نارًا ، وهذا الذي يأكلونه هو ماوصفته سورة المائدة في أكثر من موضع بالسحت ، يقول تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾ [المائدة:٤٢]، فمع تكرار هذا الوصف لهم جاءت صيغة المبالغة (أكّالون) للدلالة على ما هم عليه من كثرة أكل الحرام ، وللتأكيد على لصوق هذه الصفة بهم .

وجاء الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٤٥]، وهذا التحريم للحم الخنزير جاء مقترنًا بالحديث عن اليهود وتحريم جزء من الطعام للتضييق عليهم جزاءَ بغيهم أي ظلمهم، يقول تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام:١٤٦]، فالسياق يتحدث عن ظلم اليهود ، وتذكر سورة الأنعام في موضع آخر إخفاء كثيرٍ مما أنزله الله تعالى في التوراة ، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام:٩١]، وهو نوع من أنواع الكذب وتحريف الكلم الذي أنزله الله تعالى ، وهو ما جاء ذكره في المواضع السابقة ، وهو ظلم يندرج في حديث هذا الموضع في سورة الأنعام عن بغي اليهود الذي كان جزاؤه التضييق عليهم بالتحريم .

وجاء الموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [النحل:١١٥]، ويقترن أيضًا هذا التحريم للحم الخنزير بالحديث عن اليهود وظلمهم ، يقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل:١١٨]، فهذا الموضع في سورة النحل يشير إلى الموضع السابق في سورة الأنعام ، حيث جاء فيه ما حرّمه الله تعالى على اليهود ، كما أن الموضعين يتحدثان عن الافتراء على الله تعالى كذبًا في صورة التحريم والإباحة دون اتباع ما أنزل الله تعالى ، فجاء ذلك في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام:١٤٤]، وجاء في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل:١١٦]، ففي كلا الموضعين جاء مع تحريم أكل لحم الخنزير ، الحديثُ عن اليهود وما حُرّم عليهم وظلمهم ، والحديث عن الكذب على الله تعالى ، وهو مثيل لما جاء في موضع سورة البقرة وموضع سورة المائدة من اقتران تحريم أكل لحم الخنزير بالحديث عن اليهود وظلمهم وأكلهم للحرام وتحريفهم لما أنزل الله تعالى .

ثانيًا : عقوبة فئة من اليهود بتحويلهم خنازير :

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة:٦٠]، وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي تحدّث عن عقوبة جعل فئة من اليهود خنازير ، إذ جاء الحديث

عن جعل فئة منهم قردةً في موضعين آخرين مقترناً بالذنب وهو اعتداء أهل القرية حاضرة البحر بالصيد يوم السبت ، وذلك في سورة البقرة الآية (٦٥) وسورة الأعراف الآية (١٦٦) وقد سبق الحديث عن ذلك في دراسة اسم (حوت) وقد ذكرتُ أنه من الممكن وجود مناسبة بين ذنب فقدان الصبر بصيد يوم السبت وعقوبة التحوّل لقردة ، لأن القردة لا تصبر على حالة واحدة فهي كثيرة الحركة ، أما عقوبة جعل فئة من اليهود خنازير ، فلم ترد إلا في سورة المائدة ، وإذا نظرنا إلى سياق هذا الموضع نجد أنه يؤكد وصف هؤلاء العصاة بأكلهم السحت ، يقول تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المائدة:٦٢]، ولم يرد لفظ (السبت) إلا في سورة المائدة مع وصف أكل اليهود للسحت وذلك ثلاث مرات في الآيات (٤٢، ٦٢ ، ٦٣) فعقوبة تحويل هؤلاء العصاة لخنازير لم ترد إلا في سورة المائدة ، وقد جاءت مقترنة بأكل السحت، وهو ما لم يرد أيضًا إلا في هذه السورة ، وذلك يدل على وجود علاقة بين عقوبة تحويلهم إلى خنازير ، وذنب أكلهم السحت ، فهذه العقوبة جعلت لذلك الذنب، كما جعلت عقوبة تحويل فئة من اليهود إلى قردة لذنب الاعتداء في السبت ، ولعل اقتران تحويل فئةٍ من اليهود إلى خنازير بذنب أكل السحت جاء لوجود شبه بين حال من يأكل السحت وهو الرجس النجس معنويًا بحال الخنزير الذي من طبعه أكل القاذورات النجسة حسًّا ، فهناك مناسبة بين الذنب والعقوبة .

وبذلك يلاحظ أن اسم (خنزير) هنا في هذا الموضع اقترن بأكل الحرام (السحت) والحديث عن اليهود ، ومن أكل الحرام هو أكل المال من الكذب على الله تعالى والافتراء بتحريف أحكامه، وهو ما تحدثت عنه آيات سورة المائدة في حديثها عن رغبة اليهود إخفاء حكم التوراة في الحدود والقصاص عند رسول الله ﷺ ، رغبةً منهم في حكم أخفَّ من حكم التوراة وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا

ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

[المائدة: ٤٤]، فمِن أكلِ السحت تحريف أحكام الوحي لعرَض الدنيا .

فاسم (خنزير) جاء في أربعة مواضع في تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين، وقد اقترن في هذه المواضع بالحديث عن اليهود وأكلهم الحرام بالكذب على الله تعالى وتحريف آياته، وجاء اسم (خنزير) في الموضع الخامس في بيان عقوبة فئة من اليهود لأكلهم السحت وذلك بأكلهم المال الحرام من تحريف آيات الله تعالى وأحكامه ، فمع اختلاف المضامين يأتي لزوم دلالي واحد ، إذ لا توجد علاقة في الأصل بين الحديث عن تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين ، والحديث عن اليهود وأكلهم الحرام والذين كانت عقوبة فئةٍ منهم أن جعلوا خنازير لأكلهم الحرام.

فالدلالة الملازمة لاسم (خنزير) هي دلالة الحديث عن بغي اليهود ، وأكل الحرام، والافتراء على الله تعالى في أحكامه وحدوده ، واللزوم الدلالي يفيد الربط بين تحريم أكل الحرام على المسلمين وعقوبة الذين أكلوا الحرام من اليهود .

خيـــل (جياد – عاديات)

جاء اسم (خيل) خمس مرات في القرآن الكريم ، ونجد عدة دلالات ملازمة للاسم في كل موضع، وذلك كما يلي:

الموضع الأول : الخيل المسوّمة المزينة للناس في سورة آل عمران :

حيث جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران:١٤-١٥]، وفي هذه الآيات توجد هذه الدلالات :

١- الخيل هنا تؤدي عملاً نفسيًا وهو متعة الناس هنا ، فهي للزينة كما تصرّح الآية ﴿زُيِّن﴾ وكما يفيده لفظ (مسوّمة) الذي يفسره ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما بقوله ((الحِسان))[1] فهذه الخيل جاءت في سياق استعمالها للزينة .

٢- ويلاحظ كذلك أن هذه الخيل بوصفها المذكور في الآيات لا يقصد بها وصف استعمالها في القتال ، فالآيات لا تفيد وصف هذه الخيل حال التحام الجيشين واحتدام المعركة أو تأهبها للقتال ، ومع أن الآية التي قبل هذه الآية الوارد فيها اسم (خيل) تتحدث عن التقاء فئتين في ميدان القتال، يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران:١٣]، إلا أن اسم (خيل) لم يأتِ بوصفه متواجدًا في ميدان القتال للجهاد،

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ١٣.

وإنما جاء بوصفه زينة للناس من متاع الدنيا الزائل ، وهو ما ينافي كون الخيل للجهاد في سبيل الله تعالى، فلم يأتِ وصف الخيل حال قتالها .

٣- والآيات تفيد أن هناك سبيلين متقابلين ، السبيل الأول هو الانسياق وراء ما زين للناس من حب الشهوات ، والسبيل الآخر هو الإقبال على ما عند الله تعالى من جنات، وهو سبيل الله تعالى القائم بالقسط (العدل) كما جاء وصفه في السياق، ففي الآيات سبيلان متقابلان .

٤- نجد ذكر الملائكة في سياق هذا الموضع تصريحًا وضمنًا ، فأما التصريح بذكر الملائكة عليهم السلام فقد جاء في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨]، وجاءت الإشارة إلى الملائكة في مضمون الآيات من أمرين ، الأمر الأول من ذكر تأييد الله تعالى بنصره للمقاتلين في سبيله في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [آل عمران:١٣]، وهذا التأييد يكون بإرسال الملائكة جنودًا للمؤمنين ، وهو ما حدث في غزوة بدر وتحدثت عنه السورة نفسها ، والأمر الثاني الذي يشير إلى الملائكة هو وصف الخيل بالمسوَّمة ، وهو الوصف الذي جاء في السورة نفسها للملائكة الكرام في تأييدهم للمؤمنين في غزوة بدر يقول تعالى: ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥]، فالآيات التي جاء فيها اسم (خيل) جاء فيها ذكر الملائكة بوصفهم يشهدون بالوحدانية مع أولي العلم ، وجاءت الإشارة إلى صفتهم في تأييدهم للمؤمنين.

الموضع الثاني: الخيل للركوب والزينة في سورة النحل:

فقد جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل:٨- ٩]، ونجد في هذا الموضع هذه الدلالات:

١- استعمال الخيل للزينة وهو ما تصرّح به الآية.
٢- الآية لاتصف الخيل حال استعمالها في القتال وتناحر الجيشين .
٣- وفي هذا الموضع نجد الحديث عن سبيلين متقابلين ، الأول هو سبيل الخير والعدل ، ووصفه في الآية أنه السبيل الذي قصد به وجه الله تعالى ، أو أنه سبيل القصد أي الاعتدال ، أما السبيل الآخر فهو سبيل الجَوْر أي الظلم ، بما يشمله الظلم من ظلم في حق الله تعالى بالشرك ، أو ظلمٍ في حق العباد ، فالآيات تصف سبيلين متقابلين .
٤- والآيات التي تسبق هذا الموضع في مفتتح السورة تذكر اسم الملائكة بوصفهم رسل الهداية للناس ، يقول تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝﴾ [النحل:١ -٢]، وتتوالى الآيات بعد الآية التي ورد فيها اسم (خيل) ليأتي الحديث عن الملائكة بأسلوب شبيه لأسلوب الآيات في مفتتح السورة ، يقول تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ [النحل:٣٣]، وقبل هذه الآية جاء وصف احتفاء الملائكة بالمؤمنين عند وفاتهم ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل:٣٢]، وكذلك جاء وصف انتزاع الملائكة لأرواح الظالمين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل:٢٨]، فالسياق الذي جاء فيه اسم (خيل) في سورة النحل في مقام الامتنان، يتقدمه الحديث عن الملائكة المعذبين للكفار، الفرحين بالمؤمنين، فمع هذا الموضع جاء ذكر الملائكة وتأييدهم للمؤمنين.

الموضع الثالث: الخيل للرباط حال السلم في سورة الأنفال:

فقد جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦٠-٦١]. ويلاحظ في هذا الموضع ما يلي من الدلالات:

١- استعمال هذه الخيل لأداء عمل نفسي ، فهي لإرهاب العدو كما نصت الآية.

٢- والآية إذ تصف عمل الخيل بأنه إرهاب للعدو فإنها لاتصف الخيل حال قتالها واشتباكها مع العدو ، بل إن اسم الخيل هنا جاء معه التأكيد على وصف الخيل حال عدم وجود قتال ، إذ إنها خيل للرباط ، أي لسد ثغور المسلمين ، والاستعداد لرد عدوهم ، وبهذا فسر الألوسي الآية الكريمة إذ يقول: ((وفي الآية إشارة إلى عدم تعيُّن القتال ؛ لأنه قد يكون لضرب الجزية ونحوه، مما يترتب على إرهاب المسلمين بذلك عدو الله المخالفين لأمره سبحانه، وعدوكم المتربصين بكم الدوائر))[1] فالخيل هنا ليست في حال لقائها مع العدو، وهذا ما يناسب حديث الآيات قبلها عن معاهدة الكفار، ويناسب أيضًا حديث الآية التي بعدها عن قبول السلم إن جنح إليه الكفار، فحال السلم والمعاهدة الذي يتحدث عنه السياق يتطلب الإعداد المستمر للقوة ولرباط الخيل تحسبًا لخيانة مَن عاهدوا المسلمين .

٣- والسياق يتحدث بذلك عن سبيلين متقابلين، الأول سبيل الحرب ولقاء العدو، والثاني سبيل السِّلم والمعاهدة ، وهما سبيلان متقابلان.

٤- وقد جاء هذا الموضع في سورة الأنفال مع حديث متكرِّر عن الملائكة ووصف نصرتها للمؤمنين ، فالسورة تقصّ أحداث غزوة بدر، وتذكر إمداد الله تعالى للمؤمنين ، والآيات التي جاءت قبل آية الأمر بإعداد القوة ورباط الخيل تؤكد على نصرة الله تعالى للمؤمنين بما لا يراه البشر ، أي بالملائكة عليهم السلام يقول

---

(١) الألوسي ، روح المعاني ، ٢٦/١٠.

تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨]، وكذلك تتحدث الآيات عن الملائكة في وصف تعقبهم للكفار عند موتهم، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠] الحديث عن ضرب الملائكة للكفار وثيق الصلة بأمر الله تعالى عبادة المؤمنين بإعداد القوة ورباط الخيل ، إذ يأتي هذا الأمر باتخاذ الأسباب (القوة ورباط الخيل) عقب الحديث عن نصر الله تعالى للمؤمنين بإمدادهم بالملائكة الذين يضربون الكفار في ساحة القتال ، يقول تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢]، ففي هذا الموضع يأتي الحديث عن الملائكة بوصف ضربهم للكفار وتأييدهم للمؤمنين.

الموضع الرابع : الخيل للغزو دون قتال في سورة الحشر :

حيث جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر:٦]، ونجد مع اسم (خيل) هنا هذه الدلالات :

١- استعمال الخيل في حصار بني النضير عندما قذف الله تعالى الرعب في قلوبهم فنزلوا من حصونهم ، وخرجوا من المدينة دون قتال ، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن

تَخۡرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ [الحشر:٢]، فاستعمال الخيل في هذه الغزوة جاء مع حصول شعور نفسي وهو إرهاب العدو ، فكان الخيل من أسباب رعب العدو واستسلامهم دون قتال.

٢- تصرح الآية بنفي صفة القتال عن الخيل، إذ أفاء الله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين من غير أن يوجف المسلمون بخيل ولا ركاب، يقول ابن كثير: ((فالفيء كل مالٍ أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي : لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب))[١] فالآية تصرح بأن الخيل لم تنازل الأعداء فلم يحدث التحام بين الطرفين .

٣- ومن حديث الآيات عن غزوة بني النضير يظهر وجود سبيلين للنصر ، السبيل الأول هو إحراز النصر بالقتال والمبارزة وإراقة الدماء ، وذلك مثلما حدث في غزوة بدر ، وقد سمَّى القرآن الكريم الغنائم التي كانت فيها بالأنفال ، والسبيل الثاني هو إحراز النصر بالحصار والرعب دون قتال ، مثلما حدث في غزوة بني النضير ، وسمَّى القرآن الكريم الغنائم التي كانت فيها بالفيء ، يقول الرازي: ((ومعنى الآية أن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ أن يقسّم الفيء بينهم كما قسّم الغنيمة بينهم ، فذكر الله الفرق بين الأمرين ، وهو أن الغنيمة ما أتعبتم أنفسكم في تحصليها وأوجفتم عليها الخيل والركاب ، بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعبًا))[٢] فهناك سبيلان هما سبيل النصر بالقتال وسبيل النصر بالرعب والحصار، وهما سبيلان متقابلان .

٤- وتذكر آية سورة الحشر التي جاء فيها اسم (خيل) تسليط الله تعالى رسله على أعداء المؤمنين (يسلط رسله) ويشير اسم (رسله) إلى تأييد الله تعالى للمؤمنين بإرسال الملائكة لهم فاسم (رسله) يطلق على الملائكة عليهم السلام كما هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود:٨١]، وقوله تعالى:

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٨/ ٤١
(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٩ / ٢٨٥

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ﴾ [فاطر:١]، فإذا كان الرعب الذي قذفه الله تعالى على أعداء المؤمنين جندًا من جنود الله تعالى ، فإن اسم (رسله) يشير إلى الملائكة الذين يبعثهم الله تعالى لنصرة أنبيائه والمؤمنين على أعدائهم، وقد اقترن ذكر الملائكة بقذف الرعب في سورة الأنفال في مقام نصرة المؤمنين أيضًا، يقول تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢]، والآيات في سورة الحشر في حديثها عن غزوة بني النضير تتحدث عن وعود المنافقين لليهود بغلبتهم ونصرتهم ضد المسلمين ، لكن المنافقين خذلوا اليهود ونكصوا عن وعودهم ، وقد شبهتهم الآيات في سورة الحشر بالشيطان في تبرئه من مناصرة الكافرين ، يقول تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر:١٦]، وتبرُّؤ الشيطان هنا في سورة الحشر مع الحديث عن غزوة بني النضير يذكر بتبرّؤ الشيطان في سورة الأنفال عندما رأى الملائكة تؤيد المؤمنين ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨]، ففي سورة الحشر نجد تبرّؤ الشيطان من الكفار مثلاً لتبرّؤ المنافقين من اليهود في غزوة بني النضير ، وهو يشير إلى تبرّؤ الشيطان من الكفار عند رؤية الملائكة في غزوة بدر كما جاء في سورة الأنفال، فما جاء في سورة الحشر يشير إلى نصرة الملائكة للمؤمنين التي ألجأت الشيطان ومن يشبهونه (المنافقين) إلى التبرؤ من الكفار .

فاسم (الملائكة) لم يأتِ في سورة الحشر ، إلا أن حديث الآيات عن نصرة الله تعالى للمؤمنين ، وتسليط رسله ، وحديث السورة عن شعور الرعب الذي اقترن

الحديث عنه في سورة الأنفال بالملائكة ، وكذلك حديث السورة عن تبرّؤ الشيطان من الكفار الذي اقترن في سورة الأنفال برؤية الملائكة ، يدل على أن سياق الآيات في سورة الحشر يشير إلى نزول الملائكة لنصرة المؤمنين في حديث السورة عن غزوة بني النضير .

الموضع الخامس : خيل إبليس لمحاربة المؤمنين بالغواية والوسوسة لا بالقتال:

فقد جاء اسم (خيل) في سورة الإسراء بالإضافة إلى الضمير العائد على إبليس يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء:٦٤-٦٥]، ويلاحظ في هذا الموضع هذه الدلالات :

١- الخيل هنا تقوم بعمل نفسي وهو التأثير بالغواية والوسوسة، فهي خيل الشيطان الذي وصف كيده بالضعف، ولا يملك إلا الغواية وتزيين الشهوات ودفع الإنسان للفتن وتلبيس الحق عليه.

٢- وبذلك لا توصف هذه الخيل بأنها مقاتلة في ميدان المعركة ، فعملها عمل شعوري كالزينة والرعب في المواضع السابقة ، ولم يأتِ وصفها حال القتال .

٣- الآيات تحدد سبيلين بعد هذه الغواية ، الأول هو سبيل الاستجابة لإبليس واحتناكه من يتبعه، والثاني هو سبيل صدّ هذه الغواية ، فلا يكون لإبليس سلطان على عباد الله المخلصين ، وهذان السبيلان متقابلان.

٤- والسياق يتحدّث عن الملائكة الذين أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام، فسجدوا ولم يفعلوا مثلما فعل إبليس إذ ناصب آدم العداء ، فالملائكة محبون لآدم، ويستغفرون له ولذريته المؤمنة، فذكر الملائكة في السياق في مقام تكريم آدم وحب الملائكة له.

ومن ذلك نجد أن اسم (خيل) في المواضع الخمسة لازمته دلالة أداء عمل نفسي (الزينة ، الرعب ، الغواية) ولم يوصف حال كونه في ساحة القتال يؤدي دوره في الإقدام والاعتراك مع العدو ، وجاءت مع اسم خيل دلالة وجود سبيلين متقابلين (زينة الدنيا وما عند الله تعالى من جنة، سبيل القصد المعتدل وسبيل الجور، الحرب والسلم، النصر بقتال والنصر بالحصار دون القتال، احتناك الشيطان أتباعه من ذرية آدم وعدم وجود سلطان له على عباد الله تعالى) وكذلك جاء اسم (خيل) مع

حديث السياق عن الملائكة بوصف نصرتهم للمؤمنين، وتأييد الله تعالى لعباده برسله من الملائكة.

ومع وجود هذا اللزوم الدلالي لاسم (خيل) نجد تنوّع الصيغ التي ورد بها الاسم واستعمال كل صيغة مع دلالة تختصّ بها عن بقية الصيغ، وذلك كما يلي:

١- صيغة المفرد المجرور المعرف بأل (الخيلِ) : وجاءت هذه الصيغة مرتين، مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة الأنفال ، وكلتا السورتين تتحدثان عن غزوة بدر التي دار فيها القتال، فمع أن اسم (خيل) جاء بوصفه زينة في سورة آل عمران، وبوصفه للرباط في حال المعاهدة والسلم في سورة الأنفال ، إلا أن السورة تحدثت عن القتال فيما لا يرتبط باسم (خيل) المذكور في سياقٍ آخر في السورة ، وهو يميز هذه الصيغة (الخيل) حيث يأتي وصفها للزينة وللرباط مع حديث السورة عن غزوة بدر .

٢- صيغة المفرد المجرور النكرة (خيلٍ): وجاءت هذه الصيغة في سورة الحشر مع الحديث عن غزوة بني النضير، مع وصفها بصفه سلب ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ [الحشر:٦]، فهذه الخيل توصف بعدم أداء العمل الذي كانت معدّة من أجله، كما اختصت هذه الخيل بتواجدها في غزوة بلا قتال.

٣- صيغة المفرد المجرور المضاف للضمير (بخيلِك): وجاءت هذه الصيغة بوصفها خيل الشيطان، فهي في سياق استعمالها في غواية بني آدم وعداء الشيطان لهم.

٤- صيغة المفرد المنصوب المعرف بأل (الخيلَ) : وهذه الصيغة التي جاءت في موقع النصب جاء مع وصف استعمال الخيل للركوب والزينة دون أن تتحدث السورة (سورة النحل) عن العداء والقتال .

فيلاحظ من ذلك أن صيغة المعرف بأل المجرورة (الخيلِ) تشترك مع صيغة المعرف بأل المنصوبة (الخيلَ) في وصفها بصفةٍ محببة (الزينة والرباط) مع تميز الصيغة التي في موقع الجر بمجيئها في سورة تتحدث عن غزوة بدر التي دار فيها القتال ، أما الصيغة التي في موقع النصب فقد جاءت دون حديث السورة عن القتال، وكذلك يلاحظ أن الصيغ التي جاءت في موقع الجر (الخيلِ ، خيلٍ ، بخيلِك) جاءت مع وجود دلالة العداء بين المسلمين وغيرهم ، وجاءت صيغة (الخيلَ) المنصوبة من غير وجود دلالة العداء ، وتميزت صيغة النكرة (خيلٍ) بالحديث عن غزوة لا قتال فيها، كما تميزت صيغة (خيلِك) بالإضافة إلى الشيطان واستعمال الخيل لغواية المؤمنين ، فهو خيل غير مشاهد لنا مثل بقية الخيل في المواضع الأخرى .

• جياد:

وقد جاء في القرآن الكريم اسم (جياد) مرّة واحدة وهو مرادف لاسم (خيل) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ [ص: ٣٠ – ٣٣]، واستعمال اسم (جياد) في هذا السياق يوضح وجوده مع دلالات تجعل استعماله مغايرًا لاسم (خيل) حيث جاء اسم (جياد) مع وصفها هبة من الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام ، وهو النبي الملك الذي أعطاه الله تعالى كثيرًا من المُلك والنعم التي لم توهب لغيره، فهذا النوع من الخيل نوع جاء مع ما يملكه سليمان عليه السلام من تسخير للطير والجان والشياطين ، فقد وهبه الله سبحانه وتعالى مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فالجياد نوع يتميز بقدرة وقوة وصفات خاصة تليق بهذا المُلك الذي سُخرت له دعائم القوة ومظاهر القدرة ، وهو ما يناسب صفة (صافنات) الدالة على اعتدال قوامها وهيئها القوية وتهيئها للقتال ، فإذا كان الخيل يستعمل زينة من شهوات الناس ، وسلاحًا مع المؤمنين لإرهاب عدوهم ، وغواية من الشيطان ، فإن الجياد أداة مُلك لأعظم من بُسط له الملك في الأرض .

وكذلك يغاير اسم (جياد) استعمال اسم (خيل) في عدم وجود دلالة أداء عمل نفسي عند استعمال اسم (جياد) فلم تذكر الآيات أنها للزينة أو لإرهاب العدو ، ويقول الرازي في تفسيره للآية التي جاء فيها اسم (جياد): ((إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجلائها ، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس ، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه ، وهو المراد من قوله: (عن ذكر ربي)))[1] فلم تكن للجياد في ذاتها أثر نفسي عند سليمان عليه السلام ، ولم يكن شغوفًا بها أو بزينتها ، وإنما أراد بها الجهاد في سبيل الله تعالى ، فلم يأتِ اسم (جياد) مع دلالة أداء عمل نفسي ، كما لا نجد في الآيات دلالة

---

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٦ / ٢٠٧

وجود سبيلين متقابلين كما هو موجود مع اسم (خيل) وإنما تميز اسم (جياد) بدلالة استعمال الجياد أداة لمُلْك سليمان عليه السلام وهو المُلك الذي اتسم بمظاهر القوة والقدرة .

• العاديات :

وإذا كان القرآن الكريم لم يستعمل اسم (خيل) مع وصفه حال القتال والعَدْو في ساحة المعركة ، فإن القرآن الكريم استعمل في وصفه للخيل حال عَدْوها وإغارتها استعمال اسم (العاديات) دون استعمال اسم (خيل) في السياق، يقول تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾ [العاديات :١-٥]، فالرأي المشهور عند المفسرين أن هذه الآيات وصف للخيل المقاتلة في سبيل الله تعالى يقول الزمخشري: ((أقسمَ بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح صوت أنفاسها إذا عدون))[1] ويقول ابن كثير: ((يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله))[2] وقد ذكر الزمخشري وابن كثير أن هناك من فسر العاديات بالإبل في الحج من باب الاستعارة ، وهناك من قال أنها الخيل في الحج ، والأشهر أن المراد بها خيل الغزو، وأن يكون المراد بالعاديات خيل الغزو يناسب اشتقاق اسم (عاديات) من (عدا) ومنه يعدُو عدوًا بمعنى المجاوزة والسرعة، ومنه العداوة والاعتداء وهي معانٍ أنسب للغزو ، وهو ما يناسب بقية الصِّفات المذكورة في السورة أيضًا ، ويلاحظ هنا عدم استعمال اسم (خيل) مع هذا الوصف وهو ما يؤكد صحة اللزوم الدلالي لاسم (خيل) حيث لم يأتِ اسم (خيل) مع وصف الخيل حال القتال، وإنما مع أداء عمل نفسي ومع ما يفيد وصفها وقت عدم القتال بها، كوصفها حال المعاهدة والسلم ، أو وصفها بعدم قتالها في غزوة بني النضير، أو ذم الافتتان بزينتها ، والقرآن الكريم يؤكد أن استعمال

(١) الزمخشري، الكشاف ، ٤ / ٦٢٢
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٨ /٢٩٠

اسم (خيل) يأتي مع وصف الخيل حال عدم قتالها بأن استعمل اسم (عاديات) وصفًا للخيل حال الغزو والقتال دون ذكر اسم (خيل) في السياق، فاللزوم الدلالي مقترن مجيئه باستعمال الاسم ولا يأتي هذا الاسم في موضع تكون فيه دلالة مقابلة للدلالة الملازمة للاسم في مواضع استعماله.

ذراع

جاء اسم (ذراع) مرتين في القرآن الكريم ، وجاء اسم (ذُرْعًا) المشتق من المادة نفسها في موضعين آخرين ، وفي كل هذه المواضع نجد دلالة القيد والخوف، وذلك كما يلي :

١- القيد والخوف مع ذراعي كلب الفتية : حيث جاء اسم (ذراع) في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف:١٨]، وتصف الآية الكريمة حال الفتية الذين آمنوا بربهم وفرّوا بإيمانهم من بطش قومهم الذين اتخذوا آلهه من دون الله تعالى ، إذ دفعهم الخوف من بطش قومهم إلى التخفي في الكهف ليكونوا آية من آيات الله تعالى إذ ضرب عليهم الرقود سنين طوالاً ، ليمكثوا في كهفهم بعيدًا عن الناس وبعيدًا عن الحياة فهم مقيدون في كهفهم بالنوم المتواصل سنين عديدة ، لا توقظهم الشمس، ولا يشعرون بالزمن ، يتقلبون وهم رقود كمن هو مقيد في السلاسل داخل السجن، فقد كان بطش قومهم والكهف والنوم قيودًا جعلتهم لا يبرحون مكانهم ولا يشعرون بزمن، وإذا كانت هذه قيود فتية الكهف فإن كلبهم يزيد عليهم بقيد آخر، هو قيد الحراسة ، فمن شأن الكلب أن يكون ماكثًا في مكانه لحراسة قومه ، وهو ما يؤخذ من وصف (باسط ذراعيه بالوصيد) يقول ابن كثير: ((يقال : وصيد وأصيد : ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب، قال ابن جريح : يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم ... وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال))[1] فاستعمال اسم (ذراع) لكلب الفتية كان مع دلالة القيد المأخوذ من حال الفتية داخل الكهف ومن حال كلبهم .

ونلحظ مع هذه الدلالة الشعور بالخوف ، وهو ما صرّحت به الآيات على لسان الفتية ، يقول تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٨٧

عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف:١٩-٢٠]، فقد كان هؤلاء الفتية يشعرون بالخوف من قومهم ، كما أن دلالة الشعور بالخوف يجعلها السياقُ لمن يرى صورتهم داخل الكهف ، يقول تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨]، فقد اقترن الخوف بالفتية أنفسهم كما اقترن بحالهم داخل الكهف وهم مقيدون بالنوم مع كلبهم ويلاحظ أن هذا الخوف جعل من الكهف قيدًا مكانيًّا لهم ، ومن رحمة الله تعالى بهم أن غشّاهم النوم.

٢- القيد والخوف مع (ذراع) سلسة الجحيم : وتأتي المرة الثانية لاسم (ذراع) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة:٢٥-٣٢]، وهو تصوير لما سيحدث للكفار يوم القيامة من إهانة وعذاب ، ومن ذلك تقييدهم في سلاسل يسحبون بها إلى النار، وهم لا يستطيعون الفرار من مكانهم بعدما علموا ما كانوا عليه من ضلال وتيقنوا من سوء العذاب الذي ينتظرهم، وهم كما تصفهم الآيات يعانون من القيد والشعور بالخوف، وهذا القيد قيد مكاني أيضًا إذ يحيط بهم العذاب في جهنم من كل مكان، وبذلك يلحظ أن اسم (ذراع) في كلا الموضعين جاء مع دلالة القيد، والشعور بالخوف.

٣- القيد والخوف مع اسم (ذَرْعًا) في وصف حال لوط عليه السلام:
وهذا اللزوم الدلالي لاسم (ذراع) جاء أيضًا مع اشتقاق المادة (ذرع) في القرآن الكريم ، فقد جاء الاسم (ذرعها) بمعنى طولها في آية سورة الحاقة التي جاء فيها اسم (ذراع) وجاء من هذه المادة اسم (ذَرْعًا) مرتين في القرآن الكريم في قوله

تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود:٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت:٣٣]، والعجيب أن هذا الوصف (ضاق بهم ذرعًا) لم يرد إلا لنبي الله لوط عليه السلام مع وجود اللزوم الدلالي لاسم (ذراع) من إحساس لوط عليه السلام والملائكة ضيوفه بالقيد المعنوي ، إذ جاء قوم لوط يطلبون الضيوف ، ومع الشعور بالخوف في هذا المقام من تكالب القرية عليه تطلب الخبائث ، وهو ما يفهم من وصف لوط عليه السلام لليوم بأنه يوم عصيب ، يقول ابن كثير: ((أي: شديد بلاؤه، وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك))(١) مع وجود هذا اللزوم الدلالي نجد لزومًا آخرًا لاسم (ذرعًا) وهو ملازمة وصف الحزن والحرج الذي أصاب لوطًا عليه السلام، ولعله توجد مناسبة بين هذا الوصف (ضاق بهم ذرعًا) وحال قوم لوط، والسبب في ذلك أن قوم لوط ضاقت عقولهم ونفوسهم عن السبيل السوي لتصريف الشهوة إلى اعوجاج الفطرة، وكأنهم لا يرون السبيل الأرحب والأوسع الذي أشار إليه لوط عليه السلام بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ﴾ [هود:٧٨] فتركوا الزواج بالنساء والتكاثر وقصروا الشهوة على الحرام ، فضيقوا على أنفسهم سبيل اللذة المباحة .

فاسم (ذَرْع) في القرآن الكريم الذي جاء مرتين لوصف شعور لوط عليه السلام، جاء مع دلالة الشعور بالخوف وتقييد الحركة بملاحقة قوم لوط لضيوف نبيهم، ودلالة التقييد والشعور بالخوف هي الدلالة الملازمة لاسم (ذِراع) مع وجود اختلاف دلالي في أن حال نبي الله لوط عليه السلام الذي جاء مع اسم (ذَرْع) لم يكن حبسًا في المكان، مثل حال أهل الكهف وحال الكفار المقيدين في السلاسل وذك في موضعيّ اسم (ذراع) .

(١) ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ١٩٧/٤.

وهذا اللزوم الدلالي خاص بالقرآن الكريم فلا نجد دلالة القيد والشعور بالخوف في مثل الحديث القدسي الذي جاء فيه اسم (ذراع): ((وإن تقرّب إليَّ بشبرٍ تقربت إليه ذِراعًا))[٢]

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ٤ /٤٣٧ (٧٤٠٥) .

طائر

جاء اسم (طائر) الدال على الحيوان مرّة واحدة بصيغة المفرد ، وتسع عشرة مرة بصيغة الجمع ، ولذلك يظهر اللزوم الدلالي من دراسة مواضع صيغة الجمع (طير) لتعدُّد مضامينها مع ملازمتها لدلالة واحدة، ومن الممكن تقسيم هذه المواضع وفق صفات الطير فيها ، والتي يظهر من دراستها ملازمة الطير لصفات محمودة وذلك كما يلي :

أولا : صيغة الجمع (طير) :

١ - الطير المجيبة لدعوة إبراهيم عليه السلام:

حيث جاء اسم (طير) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠] الآية الكريمة تتحدث عن إظهار قدرة الله تعالى المطلقة في الخلق والبعث من جديد متمثلاً ذلك في الطير، إذ تظهر فيه هذه القدرة بما شاهد إبراهيم عليه السلام من صورة حسية باشرها بيده الكريمة ، فبعدما ذبح الطير وقطعه إلى أجزاء، دعاهنّ فلبى الطير دعوة إبراهيم عليه السلام وأتينه سعيًا، فالطير في الآية الكريمة جاء مع استعماله لإظهار القدرة على البعث والإحياء، وكان أداة في يد إبراهيم عليه السلام، ويفيد أسلوب الآية سماع الطير دعوة إبراهيم عليه السلام وإجابته هذه الدعوة .

وهذه الاستجابة من الطير لا نجدها مثلاً مع استعمال الحمار في إظهار قدرة البعث عندما بعثه الله تعالى مع عزير عليه السلام ، ولا نجد في القرآن الكريم وصفًا للحيوان بأنه يسمع كلام أحدٍ من البشر إلا الطير ، فالطير هنا سمع إبراهيم عليه السلام وأجابه بأمر الله تعالى ، ولا يصف القرآن الكريم النمل بأنه سمع سليمان عليه السلام وإنما عرفت جماعة النمل سليمان وخشيت من قوته ، وسمع سليمان مقولة النمل، ولم يرد في القرآن الكريم أن تحدث سليمان إلى النمل وإنما تحدث إلى الهدهد وهو نوع من الطير ، وهذا يتوافق مع هذا الموضع في سورة البقرة الذي ضرب الله تعالى فيه للبعث مَثلين، أحدهما كان ببعث عزير وحماره ولم ويوصف

الحمار بنطقه أو سماعه أحدًا من البشر ، يقول تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٩) أما المثال الثاني للبعث فقد كان ببعث الطير الذي تصفه الآيات بمباشرة يد إبراهيم عليه السلام لهذا الطير ، وتصفه بسماعة دعوة إبراهيم وتلبيتها، وهو ما دل عليه قوله تعالى (يأتينك) بحصول فعل الإتيان لإبراهيم ، لأن الفعل هنا (يأتي) جاء مع كاف الخطاب المفعول به ويراد بها إبراهيم عليه السلام ، فيقع (يتحقق) فعل الإتيان على إبراهيم عليه السلام، وكان من الممكن إفادة معنى البعث بفعل آخر ليس معه المفعول به مثل : يطرن ، يجرين سعيًا ، وهو ما لا يدل على استجابة الطير لدعوة إبراهيم والذهاب إليه.

٢ - **الطير معجزة لعيسى عليه السلام بمباشرته لصنعها ثم إحياء الله تعالى لها :**

وجاء الطير بوصفه معجزة دالة على قدرة الله تعالى على الخلق أجراها على يد نبيه عيسى عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:٤٩]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة:١١٠]، وفيما يبدو من الآيات أن معجزة الطير كانت أقوى في الإعجاز من غيرها؛ لأنها معجزة خلق لأول مرّة، وهو أصعب من الخلق الثاني برد الروح (إحياء الموتى) كما أن هذه المعجزة كانت بصنع هيئة الطير أي شكله وهو ما وصفته الآية بالخلق، ثم يهب الله تعالى هذا الشكل الحياة ليكون طيرًا حقيقيًا، فهي معجزة تتصف بمباشرةِ يد عيسى عليه السلام بصنعها، فهذه القدرة التي أعطاها الله تعالى لعيسى عليه السلام على صناعة الهيئة من الطين ، إظهار لقدرة بعث الحياة فيما لم يتولد من زوجين ، وهو مثيل لما حدث لعيسى عليه السلام، وهذه المعجزة تكريم للمسيح بإجراء هذه القدرة على يديه، وتكريم لهذا المخلوق (الطير) بأن جعل الله تعالى صنع الطير بيد نبي، وهو يشبه

تكريم آدم عليه السلام بأن خلقه الله تعالى بيده ، فاسم (طير) في سورتي آل عمران والمائدة جاء مع استعمال الطير في إظهار قدرة الله تعالى على الخلق والإحياء، واستعماله في إظهار صدق دعوة المسيح عليه السلام لبنى إسرائيل الذين كانوا يحتاجون إلى آياتٍ مبهرة بالغة في الإعجاز الحسي، كما أن في الآيات ما يفيد تميُّز هذا الطير عن غيره بأن صنع هيئته نبي من أنبياء الله تعالى.

٣ - **الطير المظهرة لمعجزة يوسف عليه السلام بتصديق تأويله للرؤيا :**

فقد جاء اسم (طير) في قصة يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن، يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف:٣٦]، وقد أخبر يوسف صاحبيه أن الله تعالى قد أعطاه القدرة على التأويل الصحيح للرؤيا، يقول تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧]، فقد ربط يوسف عليه السلام بين تأويله للرؤيا التي شاهدوها ودعوة التوحيد، فجعل تأويله للرؤيا من المعجزات التي أعطاها الله تعالى له لأنه ترك ملة الشرك وتوجه إلى التوحيد ملة آبائه الأنبياء، وبعدما دعا يوسف صاحبيّ السجن إلى التوحيد أخبرهما بتأويل الرؤيا ، يقول تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف:٤١]، فالطير هنا جاء مع إظهار معجزة يوسف عليه السلام في تأويله للرؤيا ، وهى المعجزة التي خرج من السجن بسببها ، وتمكّن من المُلك ، وكرّم أبويه ، إذ أخبر الناجي من صاحبي السجن المَلك عن معجزة يوسف وظهور هذه

المعجزة بتحقق التأويل حدث مرتين ، بنجاة الساقي مرّة، وبصلب الآخر مرّة ثانية، فالرؤيا التي جاء فيها اسم (طير) تؤكد معجزة يوسف ، إذ لو كانت رؤيا واحدة فقط لما ظهر تَمكُّن يوسف من التأويل وأنه عِلم من الله تعالى وليس اجتهادًا يخطئ ويصيب .

وقد ذكر المفسرون أن سبب سجن صاحبي يوسف اتهامهما بمحاولة سمّ المَلك، يقول ابن كثير: ((كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمّه في طعامه وشرابه)) [1] فهما اثنان اتّهما بسمّ الملك ، عاد أحدهما مرة أخرى للمَلِك ليتولى السقاية ، وصلب الآخر ، وهذا يدل على أن الأول ثبتت براءته ، وإلا ما كان ليعود للعمل نفسه الذي اتهم بالخيانة فيه ، أما الثاني فيدل صلبه على ثبوت التهمة عليه عند من سجنوه ، فإذا كان هذا الأخير مذنبًا حقًا ومستحقًا لهذا الجزاء ، فإن أكل الطير من رأسه عداءٌ من الطير لمن أذنب بالخيانة ، فصورة أكل الطير من رأس الخائن تدل على انتقام الطير ممن يخون ومناصرة الطير للحق .

وأيًا ما كان الأمر فإن الآيات لاتصف الطير بدلالة سيئة كما وصف القرآن الكريم صوت الحمير مثلاً ، وإنما جاء استعمال الطير في الرؤيا التي بسردها وتأويلها تظهر معجزة يوسف عليه السلام وتعليم الله تعالى له تأويل الأحاديث ، وسبب خروجه من السجن وتمكّنه في الأرض، فاسم (طير) جاء مع دلالة نصرة الأنبياء وإظهار معجزتهم .

٤ -الطير المسبحة مع داود والمُسَخَّرة لسليمان والمتحدثة معه بدعوتها للتوحيد:

فإذا كان استعمال اسم (طير) في المواضع السابقة جاء مع دلالة إظهار قدرة الله تعالى على البعث والخلق وإظهار معجزة الأنبياء مقترنًا فيه الطير بتأييدهم لأنبياء الله تعالى ، وهى دلالة محمودة ، فإن القرآن الكريم في مواضع أخرى يصرح بوصف الطير بالعبادة والتسبيح ، وهو وصف صريح للطير بدلالة محمودة ، فجاء استعمال اسم (طير) في وصف تسبيحها مع داود عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٧٩]، فالطير هنا تجمع بين فضيلتين الأولى التسبيح لله تعالى ، والثانية تسخيرها لداود وتسبيحها معه، وهذه الفضيلة الثانية كفضل أداء عبادة كالحج مع النبي ﷺ ،

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٢٢٤

فالطير تسبح مع نبي الله داود ، وهى مسخرة لذلك مع الجبال التي جاء وصفها في القرآن الكريم بخشوعها لتجلي الله تعالى وكلامه ، ففي الآية وصف محمود للطير ، ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ ﴾ [سبأ:١٠]، وفي الآية شرف توجه الأمر من الله تعالى بندائه المباشر للجبال والطير بترديد الذكر مع داود عليه السلام ، وجاء هذا الوصف أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ﴾ [ص:١٨-٢٠]، فالطير تجمع بين التسبيح والإنابة (الاستغفار والتوبة) وهي مسخرة لنبي من أنبياء الله تعالى ، جعلها الله تعالى تأييداً له ومن مظاهر ملكه وقوته .

وهذه النعمة التي أنعم الله تعالى بها على داود عليه السلام أعطاها الله تعالى لسليمان عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل:١٦- ١٧]، وفي هذا الموضع الذي يصف الطير بأنه جند من جنود أنبياء الله تعالى، يأتي وصف حديث سليمان عليه السلام مع نوع من الطير هو الهدهد، وتذكر الآيات خوف النمل من سليمان وجنوده دون تحدثها إلى سليمان، يقول تعالى عن حديث الطير لسليمان ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل:٢٢]، فهذا الطير كان أعلم في هذه الحال من سليمان عليه السلام، وامتلك من الجرأة أن يقول لسليمان عليه السلام أنه يعلم ما لا يعلم سليمان النبي الملك، ولم يكن هذا الهدهد مبلّغًا عن حال قومٍ مشركين وحسب ، وإنما كان طيرًا داعياً للتوحيد وغيورًا عليه ومتحسرًا على حالهم ، فبعدما ذكر أنهم يسجدون للشمس علل ذلك في حسرة بقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ

لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:٢٤]، وقد أخذته الغيرة على التوحيد فجاء بأسلوب التحضيض في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٢٦﴾ [النمل:٢٥-٢٦]، فكان ذا الهدهدُ هدهدَ هداية ، فسبحان من انتقى الأسماء للمعاني ، وكان هدهد خير وبركة ، وكان عالمًا داعيًا ومتحدثًا للأنبياء بما يبصرهم ويؤيد دعوتهم لله تعالى .

فإذا كانت صورة الطير مع إبراهيم وعيسى ويوسف عليهم السلام تأتي بوصفه أداة إظهار قدرة الله تعالى ومعجزة أنبيائه، فإن صورة الطير مع داود وسليمان تفصح عن الدلالات المحمودة التي جاء بها وصف الطير في القرآن الكريم، فهي مُسَخَّرة للأنبياء، مسبّحة لله تعالى، داعية لدينه.

٥ - **الطير المسبحة حال طيرانها:**

حيث جاء وصف الطير بالتسبيح منفردًا بإطلاق هذه الصفة على الطير عامة ، وليس وصفًا يخصّ الطير الموجود مع داود وسليمان، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور:٤١]، وهذه الآية الكريمة تربط بين وصف صافات للطير ووصفها بالتسبيح ، حيث جاء اسم (صافات) منصوبًا على الحالية ، فدل ذلك على تسبيح الطير حال كونها صافات ، يقول ابن كثير: ((أي في حال طيرانها تسبح ربها، وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه))[1] وهذا الربط بين صورة الطير (صافات) وفعلها (التسبيح) يجعلها شبيهة بالمسلمين في صلاتهم، وهو أيضًا وصفهم في جهادهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٣٦٦

سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف:٤]، وفي آية سورة النور التي تصف تسبيح الطير تخصيص بعد العموم ، فإذا كان من في السماوات ومن في الأرض يسبح لله تعالى ، فإن الآية تخص بعدها الطير والتخصيص بعد العموم يدل على شدّة تمكن الصفة من الاسم المخصص أكثر من غيره ، فدل ذلك على تمكن صفة التسبيح من الطير وهو تشريف له إذ إنه طير مسخر للعبادة .

وجاء وصف تسخير الطير في السماء بأنه آية للمؤمنين لأنه يذكرهم بقدرة الله تعالى ، وبالتسبيح والعبادة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل:٧٩]، فهو حيوان مسخر لما أراده الله تعالى، ويأتي وصفه بالتحليق في جو السماء تصويرًا لما وهبه الله تعالى لهذا الحيوان من حرية في الحركة ورفعه في المكان ، وقد كان من الممكن تصوير تحليق الطير دون ذكر المكان وهو ما لا يعطي لهذه الصورة جمال المكان ورفعته، وخير ما فيه وبركته، وصورة التحليق في جو السماء هي الصورة المقترنة بالتسبيح في سورة النور حيث اقترن تسبيح الطير بوصفه (صافات) وهو الاسم الذي جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك:١٩] فوصف الطير بصافات فضلاً عن كونه وصف لصورة بديعة ومنظمة للطير ، فإنه وصف اقترن بالتسبيح في موضع سورة النور، وهو وصف للملائكة الكرام التالية لذكر الله تعالى الداعي للتوحيد، يقول تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصافات:١ –٤]، وهو وصف للملائكة عليهم السلام كما ذكر المفسرون كابن كثير الذي استشهد بما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((فُضِّلْنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت لنا تربتها طهوراً إذا لم نجد

ماءً))[1] فاسم (صافات) وصف للملائكة ووصف للطير في تسبيحها وصلاتها لله تعالى وتلاوة كلامه الكريم ، وهو ما جعله الله تعالى للمسلمين في صلاتهم التي يسبحون فيها الله تعالى ويصطفون فيها يتلون كلامه.

ويلاحظ أن في موضعي وصف تحليق الطير في سورة النحل وسورة الملك جاء إسناد فعل إمساك الطير في جو السماء إلى الله عز وجل بأسلوب الحصر (ما يمسكهنّ إلا الله – ما يمسكهنّ إلا الرحمن) إظهارًا للقدرة في صورة الطير، وتشريفًا للعمل بإسناده إلى الله تعالى ، ورحمة منه سبحانه بخلقه، إذ يكون الله تعالى وحده هو المعين والمدبر لهذا المخلوق المسبح لله تعالى الذي جاء وصفه في الحديث الشريف بحسن توكّله على الله تعالى، فيقول رسول الله ﷺ:((لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا))[1] فالطير أفئدة تشبهها أفئدة المتوكلين على الله تعالى، وهم الذين ترقّ أفئدتهم لما فيها من الرحمة والخشية، يقول ﷺ: ((يدخُلُ الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير))[2] فوصف الطير في الحديث النبوي يوافق صورة الطير في القرآن الكريم، حيث لازمت الاسم صفات محمودة، ومنها عبادة الطير لله تعالى .

٦ - الطير المناصرة لدين الله تعالى المعادية للكافرين:

حيث جاء اسم (طير) مع ما يفيد معاداة الطير للكافرين وذلك نصرةً لله تعالى ، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فالطير تعادي المشرك بالله وتأذيه جزاء إشراكه، ومثل ذلك ما حدث لأصحاب الفيل ، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل]، فهؤلاء

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣/٧ والحديث في صحيح مسلم ١٦٣/١ (١١٣٨)
(١) النووي ، رياض الصالحين ، ٤٩ (٧٩)
(٢) نفسه ، ٤٨ (٧٧)

المعتدون على بيت الله الحرام نالوا جزاء اعتدائهم بما أرسله الله تعالى على رؤوسهم من طيرٍ أبابيل (جماعات كبيرة) تحمل لهم حجارة صلبة مهلكة لهم، فالطير هنا مدافعة عن البيت الحرام معادية لمن أراده بسوء ، فهي جند مقاتل من جنود الله تعالى، يخرج عن طبيعته ويتحوّل إلى مقاتل يحمل ما يرمى به عدوه، فهناك فرق بين جنود الله تعالى المهلكة بطبيعتها كالريح أو الرعب أو الطوفان أو الزلازل أو كثرة الجراد الآكل للزرع، وجنود الله تعالى التي تتغير طبيعتها لتُسخَّر في القتال وهى ليست كذلك أصلاً، فأن تحمل هذه الكائنات حجارة لترمى بها أعداء الله تعالى فهو ما يدل على طواعية الطير للتحوّل بما فيه طاعة الله عز وجل وهي قدرة وهبها الله تعالى للإنسان، فهو يجمع بين الوداعة والشراسة ، وبين الحلم والغضب، فمِن عظمة خَلق الإنسان أنه يتنوَّع في أفعاله ، وهو ما نجده في الطير إذ يتنوَّع من وداعة التحليق مسبحًا لله تعالى إلى قتال المعتدين على بيت الله الحرام، فهو يتنوع في أفعاله ويسخرها لله تعالى .

٧ - الطير طعام لأعلى أهل الجنة منزلة :

وجاء اسم (طير) بوصفه طعامًا في الجنة لأعلى أهلها منزلة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة:٢٠-٢١]، ويختلف الحديث عن نعيم أهل الجنة في سورة الواقعة عن غيرها من السور؛

لأن سورة الواقعة (وكذلك سورة الرحمن) توضح أن هناك صنفين من أهل الجنة، الصنف الأول هم السابقون المقربون ، والصنف الثاني هم أهل اليمين، والصنف الأول لهم نعيم أعظم ، وهم في درجة أعلى من الصنف الثاني، ومع هذا الصنف الذي له درجة أعلى جاء نعيم لحم الطير للسابقين المقربين، وهذا يدل على فضل هذا النعيم عن غيره، حيث لم يأتِ للصنف الثاني من أهل الجنة، وكذلك لم يأتِ في وصف طعام أهل الجنة دون الحديث عن وجود صنفين من أهلها، حيث جاء ذكر طعام أهل الجنة من اللحم دون تخصيصه بالإضافة إلى الطير في قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ ﴾ [الطور:٢٢]، ولم يحدد سياق هذه الآية نوع هذا اللحم كما لم يتحدث عن وجود صنفين من أهل الجنة ، وقد جاء تحديد نوع اللحم بوصف لحم الطير طعامًا لأعلى أهل الجنة منزلة ، وهو ما يدل على مزية الطير ، فضلاً عن وصفه بأنه طعام لأهل الجنة.

ومن هذه الصفات التي وردت في القرآن الكريم نجد أن الطير في القرآن الكريم جاء استعماله في إظهار قدرة الله تعالى على البعث ، كما وصف الطير بأنه مسبح وأوّاب لله تعالى ، وجاء الطير نصيرًا للأنبياء ومجيبًا لدعوتهم ومصدقًا لمعجزتهم ، وناصرًا لدعوة التوحيد معاديًا لمن كفر بها ، وليس عداء الطير للكفار بالقلب وحسب وإنما يتحوّل الطير لمقاتل يتخطف الكفار ويرميهم ، ولهذا الطير بهذه الصفات الإيمانية مكان في الجنة ، بل هو في أعلى درجات الجنة ، فاسم (طير) بصيغة الجمع جاء في القرآن الكريم مع لزومه للدلالات المحمودة ووصفه بالصفات الإيمانية .

ويؤكد هذا اللزوم الدلالي حديث القرآن الكريم عن الهدهد ، فقد جاء اسم (هدهد) مرة واحدة وذلك في سورة النمل الآية (٢٠) وما بعدها ، ووصفه القرآن الكريم بالعلم والإيمان والغيرة على التوحيد وحبه للخير لجميع الناس ، وقد سبق الحديث عنه في مواضع الطير المسبحة مع داود والمسخرة لسليمان .

ومما يتوافق مع هذا اللزوم الدلالي لاسم (طير) استعمال القرآن الكريم لاسم (سلوى) مع ما يفيد امتداح هذا النوع من الطيور، حيث جاء اسم (سلوى) ثلاث مرات في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ﴾ [البقرة:٥٧]، وكذلك في سورتي الأعراف (١٦٠) وطه (٨٠) والسلوى طائر أنعم الله تعالى به على بني إسرائيل وامتنّ به عليهم ، وجاء وصفه في القرآن الكريم بأنه من الطيبات ، وبأنه منزل تشريفًا له ، فهو مخلوق من عند الله تعالى جاء الحديث عنه مع الفعل (أنزلنا) ولعلّ ذلك ما دعا بعض المفسرين - فيما ذكره ابن كثير – إلى قولهم عن السلوى:((طير كطير يكون بالجنة))[1] وأكدّ القرآن الكريم مزية هذا الطير عن غيره من الطعام إذ استنكر على بني إسرائيل رغبتهم في طعام غيره ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ [البقرة:٦١] يقول ابن كثير: ((إنما

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ١٢١

قالوا (عَلَى طعَامٍ وَاحِدٍ) وهم يأكلون المنّ والسلوى لأنه لا يتبدّل (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) فيه تقريع وتوبيخ على ما سألوه من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من الرغِيد والطعام الهنيء الطيب النافع))[1] فالقرآن الكريم وصف السلوى بأنه خير ومن الطيبات ومنزل من عند الله تعالى، وامتنّ الله تعالى به، فهو طير لازمه وصفه بالصفات المحمودة.

وكذلك جاء في القرآن الكريم اسم (غراب) وذلك مرتين في موضع واحد ، يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١]، وصورة الغراب في الآية تخالف صورة الغراب عند العرب ، إذ كانوا يتشاءمون منه ، يقول الجاحظ عن الغراب: ((فتشاءموا به وتطيَّروا منه))[2] ونقله الثعالبي وقال: ((وليس في الأرض بارح ولا قعيد ولاشيء ممّا يُتشاءم به إلا والغراب عندهم أنكد منه))[3] فإذا كان اسم (غراب) عند العرب يدل على التشاؤم ، فإن القرآن الكريم يصف الغراب بأنه مبعوث من الله تعالى ، أي رسول معلم جاء ليعلم ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه الميت بدفنه ، فلم يأتِ الغراب في القرآن الكريم بوصفه بصفه سيئة كقتل الغراب لأخيه، كذلك لم يأتِ دون وصف، وإنما جاء مع وصفه بصفات محمودة ، فهو معلمُ للستر، ومبعوث من الله تعالى.

فاستعمال القرآن الكريم لأسماء (الهدهد، السلوى، الغراب) يتوافق مع استعماله لاسم (طير) الذي لازمته الدلالات المحمودة والصفات الإيمانية الداعي لها.

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ١٢٥
(٢) الجاحظ ، الحيوان ، ٣١٥/٢
(٣) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ٤٥٩

إعجاز تسمية الطائر باسم يدل على القصة الوارد فيها :

ومن عجيب قدرة الله تعالى أن جعل مناسبة بين هذه الأسماء (الهدهد، السلوى، الغراب) وأحداث القصة التي ورد فيها كل اسم ، وكأنّ كل طائر من هذه الطيور سُمي بالاسم الذي سيدل على القصة التي سيشارك في أحداثها ويذكره القرآن الكريم فيها.

فنجد مناسبة بين اسم (هدهد) المكوّن من حرفيّ الهاء والدال وأحداث القصة التي ورد ذكره فيها، وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: استعمال الهدهد في الهداية ، إذ كان حريصًا على هداية قوم سبأ، وكان مما يشغله تفقّد أحوال الناس والسعي لهدايتهم فهو مبعوث هداية، ثم أرسله سليمان عليه السلام بكتابه الداعي للهداية ، يقول تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٨-٣١]، فالهدهد رسول رسول الله للهداية، ويلاحظ هذا التوافق اللفظي بين اسم (الهدهد) واسم (الهداية) فكلاهما مكوّن من حرفيّ الهاء والدال.

الجهة الثانية: استعمال الهدهد في القصة الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء فيها لفظ (الهدية) فالهدهد هو الذي أخبر سليمان عليه السلام عن حال قوم سبأ وملِكتهم ، فأرسله سليمان عليه السلام بكتابه إلى ملِكة سبأ، التي أرسلت إليه بهدية، يقول تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل:٣٥-٣٦]، والعجيب أن الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي يرد فيه لفظ (هدية) هو نفسه الموضع الوحيد الذي يتحدث عن الهدهد، فجاء اسم (هدهد) مع أحداث القصة الوحيدة التي جاء فيها الحديث عن الهدية، وهنا نجد

التوافق اللفظي بين اسم (هدهد) واسم (هدية) فكلاهما مكوّن من حرفيّ الهاء والدال .

فلماذا لم يرد الحديث عن الهدية أو اسم (هدية) في أيّة قصة أخرى من قصص القرآن الكريم؟! ولماذا جاء اسم (هدية) في القرآن الكريم مع اسم (هدهد) في قصة واحدة ؟! إنها قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يكون الطائر مسخّرًا للأحداث التي ستناسب اسمه .

وإذا كان في مقدور البشر التجميع بين الألفاظ متقاربة النطق في نسق واحد بما يعرف بفن الجناس ، فإن هذا التقارب في القرآن الكريم بين اسم (هدهد) واسم (هداية) أو اسم (هدية) ليس من باب الجناس المألوف عند البشر؛ لأن القرآن الكريم لم يجمع بين اسم (هدهد) واسم (هداية) أو اسم (هدية) في نسق واحد تتجاور فيه هذه الأسماء ، وإنما جاء اسم (هدهد) في بداية القصة التي تتحدث عن غياب الهدهد ، ثم يأتي الحديث بعد عدد من الآيات عن هداية قوم سبأ، ومعنى اسم (الهداية) حاضر في الآيات أكثر من لفظه ، وبعد ذلك بآيات عديدة يأتي اسم (هدية) فلا يوجد تجاور لأسماء (هدهد ، هداية ، هدية) وإنما تواجد في أحداثٍ القصة الواحدة مع التباعد فيما بينها ، وهو التباعد المثير للتأمل في المعنى بذكاء ، والتأمل في إحكام النص القرآني، ولا ينشغل بمجرد التوافق الصوتي بين الكلمات المتجاورة .

وكذلك نجد مناسبة بين اسم (سلوى) وأحداث القصة الوارد فيها الاسم، والسبب في ذلك أن اسم (سلوى) مشتق من مادة (سلا) التي يُشتق منها الألفاظ الدالة على الكشف ، يقول ابن منظور: (سلاني من همّي تسلية أي كشفه عنّي، انسلى عني الهم تسلّى بمعنى انكشف)[1] ودلالة الكشف دلالة رئيسيّة في أحداث القصة الوارد فيها الاسم ومتكررة فيها .

حيث جاء اسم (سلوى) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾ [الأعراف:١٦٠]، ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سلا) ٣٩٤/١٤

عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ [طـــه:٨٠]، وذكر المفسرون أنه اسم لطائر أنعم الله تعالى به على بني إسرائيل عندما كانوا في التيه بعد رفضهم دخول الأرض المقدسة مجاهدين، فجاء ذكره في القرآن الكريم في سرد قصة بني إسرائيل مع فرعون ومع موسى عليه السلام، ونجد في هذه المواضع دلالة الكشف كما يلي:

١- كشف بلاء فرعون عن بني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة:٤٩]، فقد كان عذاب فرعون لبني إسرائيل همًّا وغمًّا كشفه الله تعالى عنهم .

٢- العفو عن بني إسرائيل بعد اتخاذهم العجل ، فكشف الله تعالى عنهم هذه الغُمّة ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة٥١-٥٢] وعبادة العجل ضلال وفتنة لبني إسرائيل ، يقول تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه:٨٥] وهمّ وغمّ لموسى وهارون عليهما السلام، يقول تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ﴾ [طه:٨٦]، وكذب وتدليس من السامري، الذي ادّعَى أنّ أمورًا غيبية انكشفت له، يقول تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ [طه:٩٦]، فانكشف الضلال والتدليس ، وانكشف الهم والغم.

٣- طلب بني إسرائيل رؤية الله تعالى جهرة أي مكاشفة ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة:٥٥]، ثم كشف الله تعالى عنهم العقاب وبعثهم من جديد، فانكشفت لهم حقيقة جرمهم وحقيقة قدرة الله تعالى على الموت والبعث.

كما نجد دلالة الكشف في حديث السياق في سورة الأعراف عن طلب موسى عليه السلام من الله تعالى: (أرني أنظر إليك) وتجلّي المولى عز وجل للجبل، يقول تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف:١٤٣].

٤- خروج طائر السلوى منكشفًا من الغمام: حيث يربط السياق بين الغمام وطائر السلوى ، يقول تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾ [البقرة: ٥٧]، وهنا لابد أن نتأمل في كيفية هذه النعمة ودلالتها على الكشف ، يقول ابن كثير في تفسيره للغمام: (جمع غمامة ، سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يواريها ويسترها ، وهو السحاب الأبيض ظلّلوا به في التيه ليقيهم حرّ الشمس)(١) والغمام يفيد دلالة الكشف ؛ لأن وجوده يفيد خروج طائر السلوى من وسط الغمام ، فينكشف الطائر ويظهر لهم من الغمام، كما يدل الغمام على الكشف بدلالة الشيء على ضدّه ، خاصة وأن الغمام كان في فترة التيه ، ثم انكشف بانقضاء هذه الفترة ، يقول تعالى في الآية التالية لوصف حال بني إسرائيل في التيه : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [البقرة:٥٨]، فوجود الغمام دلالة صريحة على الكشف.

وبذلك نجد أن دلالة الكشف موفورة في القصة التي يرد فيها اسم (سلوى) فالسياق تحدث عن كشف البلاء والغم ، وهي فكرة رئيسية في السياق، وأفاد معنى الكشف في طلب بني إسرائيل رؤية الله تعالى جهرة، وتحدث عن كشف العقاب والبعث من جديد حيث تنكشف الحقائق بعد الموت والبعث ، وتحدث عن الغمام حيث ينكشف منه طائر السلوى ، وينكشف الغمام نفسه بعد فترة التيه ، ودلالة الكشف هي ما نجدها في مشتقات مادة اسم (سلوى) فاسم الطائر يدل على أحداث القصة الوارد فيها.

وكذلك جاء اسم (غراب) دالاً على القصة التي ورد فيها، فما أعظم الكتاب وما أجل قدرة مُنزله ! إذ بعث الله طائرًا اسمه (غراب) لأغرب حدث يفعله الإنسان ، وهو قتل الإنسان لأخيه، في أول هدمٍ لبنيان الله على الأرض، يقول تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٨/١

لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ [المائدة:٣٠-٣١]، ويدلّ الفعل (طوّعت) على غرابة الحدث ونكرانه، فمن الغريب حقًا أن يدمر الإنسان نفسه برغبة البقاء ، فهو حدث غريب ، وبسببه وجد القاتل نفسه أمام وضع غريب إذ وجد جثة أخيه لا يعرف كيف يواريها ، فتعجب من فعله وجهله قائلاً : يا ويلتى!! أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي؟!! فما أغرب الإنسان بتكوينه النفسي واندفاعه لفعل ما يأسف عليه ، وما أغرب ما تحدثه أفعاله من خراب، وما أغرب أن تكون المخلوقات الأخرى أحسن عملاً من الإنسان وتعلّم الإنسان ، وهكذا جاء اسم (غراب) في القرآن الكريم في القصة التي تقصّ غرابة الإنسان في إحداث ما هو غريب على الأرض.

فهذه الأسماء (هدهد ، سلوى ، غراب) جاءت دالة على أحداث القصص التي وردت فيها ، ويظهر هذا الإعجاز إذا ما تخيلنا أن هداية قوم سبأ كان سببها طائر السلوى لا الهدهد ، أو أن طائر الهدهد هو الذي يعلّم قاتل أخيه كيف يواري سوأته ، أو كانت القصة دون تحديد اسم الطائر ، فعندها لن نجد هذه العلاقة الدلالية بين اسم الطائر وأحداث القصة الوارد فيها.

وإنه لعجب ؛ هل سَمَّى الله سبحانه وتعالى هذه الطيور بهذه الأسماء علمًا مسبقًا بما سيحدث منها ؟ أم أنه يَسّر لهذه الطيور الأفعال المناسبة لأسمائها ؟ وأيًّا ما كان السبق فإن الأكيد أمامنا أن النص القرآني المعجز يثبت أنه من عند الله تعالى، إذ لا يمكن لغير المولى عزّ وجلّ أن يُحْكِم القصص ليكون اسم الطائر دالاً على فعله مع كل اسم ، من غير تكلّف للأحداث ، ومن غير خرافاتٍ لا يقبلها العقل ، ومن غير إقحامٍ للاسم في القصة ، والسبب في ذلك أن هذا الإعجاز ليس إعجازًا بلاغيًّا في القول ، وإنما إعجاز القدرة الإلهية بتسخير الكائنات للأحداث المناسبة لأسمائها ، إظهارًا لقدرة الله تعالى وعلمه المسبق ، ولذلك لا نجد تكلّفًا في الربط بين اسم الطائر وأحداث القصة الوارد فيها ، ومما يدل على عدم وجود التكلّف أن المفسرين والدارسين لكتاب الله تعالى لم يلحظوا هذه العلاقة بين اسم الطائر والقصة ، وإنما ظهرت في دراسة اللزوم الدلالي للاسم لأنها معنيّة بالبحث عن العلاقة بين الاسم والسياق ، فسبحان من أحكم آياته فلا نرى فيها عوجًا ، ولو كانت من عند غير الله تعالى لوجدنا فيها اختلافًا كبيرًا.

ثانيًا : صيغة المفرد (طائر) :

ومن بديع الأداء القرآني أن يوجد اللزوم الدلالي للاسم في صيغة معينة كصيغة الجمع (طير) ثم يعدل عن هذا اللزوم الدلالي عندما يستعمل صيغة أخرى كصيغة المفرد (طائر) لأداء هذه الصيغة معنيين أحدهما الحيوان المعروف ، والثاني العمل والقدر ، فجاء لزوم دلالي آخر لصيغة المفرد (طائر) يجمع بين مواضع هذه الصيغة مع اختلاف مضامينها، ليكون اللزوم الدلالي مرتبطًا بالصيغة وشكل الاسم ، وليس مرتبطًا بمعنى الاسم ، فلصيغة الجمع (طير) لزوم دلالي ، ولصيغة المفرد (طائر) لزوم دلالي آخر ، فإذا كانت صيغة (طير) وصيغة (طائر) بمعنى واحد في استعمال البشر ، فإن لكل صيغة لزومًا دلاليًا خاصًا بها في استعمال القرآن الكريم .

حيث جاءت صيغة المفرد (طائر) خمس مرات ، مرّة واحدة بدلالتها على الحيوان ، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام:٣٧- ٣٩]، فالسياق هنا يتحدث عن المكذبين للوحي، ويشبه وجود الناس وموتهم بما يرونه من الحيوانات ، فجميعهم مخلوق من عند الله تعالى وتكفّل الله تعالى برزقهم ولا يعزبُ عنه حالهم ، ثم إليه يحشرون.

وجاءت صيغة المفرد (طائر) أربع مرات بغير دلالتها على الحيوان المعروف وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف:١٣١]، ويقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورٗا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء:١٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس:١٩]، ففي هذه المواضع الأربعة يتحدث السياق عن المكذبين لأنبيائهم ، ويأتي اسم (طائر) بمعنى العمل والجزاء عليه ، فعمل الإنسان هو طائره الذي يصعد للسماء ويحاسب الله تعالى عليه ، ويكون الجزاء في الدنيا والآخرة بالخير أو الشر، فالطائر هنا هو العمل الحسن أو السيئ الذي يكتب على الإنسان دون تفريط في تسجيله ، وفى تسمية العمل بالطائر تشبيه للعمل بالطائر الحيوان الذي يكون على الأرض ثم يصعد إلى السماء ، فعمل الإنسان يصعد من الأرض إلى السماء.

وبهذا يلاحظ وجود دلالة مشتركة بين استعمال صيغة (طائر) للحيوان المعروف في سورة الأنعام ، واستعمال هذه الصيغة للدلالة على العمل والجزاء ، حيث جاءت صيغة (طائر) المفرد الدالة على الحيوان المعروف مع الحديث عن المكذبين وتشبيه الناس بأمم الحيوانات في الحياة والموت والحشر بعد الموت ، وبيان أن كل أحوالهم مسجلة في كتاب (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وهذه الدلالات نجدها مع صيغة (طائر) بمعنى العمل والجزاء عليه حيث يتحدث عن السياق عن المكذبين ويبيّن لهم أن عملهم مسجل عند الله تعالى وأن عليه يكون جزاؤهم في الدنيا وفى الآخرة .

فكما أن صيغة (طائر) المفرد الدالة على الحيوان جاءت تشبيهًا لحياة الناس وعملهم وموتهم وتسجيل أحوالهم في كتاب ، جاءت صيغة (طائر) التي لا تدل على الحيوان لبيان إلزام الناس بعملهم وتسجيله والحساب عليه فعملهم يشبه الطائر الذي يكون على الأرض ثم يصعد إلى السماء ، فهناك دلالة واحدة تلازم هذه الصيغة هي دلالة تسجيل عمل الناس الحسن منه والسيّئ ومجازاتهم عليه .

فالقرآن الكريم يصرّف الآيات ليأتي بلزوم دلالي واحد مع الاسم وإن اختلف المراد بالاسم كاختلاف معنى (طائر) في القرآن الكريم .

وهذا يؤكد دقة استعمال القرآن الكريم للزوم الدلالي فصيغة الجمع (طير) تلازمها دلالة الصفات المحمودة للطير ، أما صيغة المفرد (طائر) تلازمها دلالة

العمل الحسن والسيّئ وكتابته والمجازاة عليه ، وحديث السياق عن المكذبين الذين سيُلزَمون بعملهم ، وعملهم هذا هو طائرهم الذي يصعد للسماء وينزل عليهم بالجزاء، فالقرآن الكريم عدل عن صيغة الجمع (طير) الدالة على الحيوان في موضع ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام:٣٨]، لوجود لزوم دلالي آخر هو اللزوم الدلالي لصيغة (طائر) المفرد ، وكذلك عدل عن صيغة (طائر) إلى اسم الطائر (هدهد، سلوى ، غراب) إذ لم يوجد اللزوم الدلالي لصيغة (طائر) وإنما يدل اسم الطائر على أحداث القصة الوارد فيها .

وبذلك أيضًا لا يُتوهم أن استعمال القرآن الكريم لصيغة (طير) مع الصفات المحمودة للطير جاء من عدم وجود صورة أخرى للطير ، فهو استعمال ملزم للقرآن الكريم ، حيث يصور القرآن الكريم الطير بغير دلالة الصفات المحمودة لكن مع صيغة أخرى هي صيغة (طائر) وبذلك يكون اختيار الصيغة أسلوبًا متعمّدًا من القرآن الكريم لإيجاد اللزوم الدلالي الخاص بها .

فالقرآن الكريم الذي يفرّق بين صيغة المفرد (أذن) فيجعلها لسماع الخير وصيغة الجمع (آذان) فيجعلها لا تسمع الخير، يفرّق كذلك بين صيغة المفرد (طائر) فيجعلها مع دلالة الجزاء على العمل الحسن أو السيّئ، وصيغة الجمع (طير) فيجعلها مع وصف الطير بالصفات المحمودة.

- عجل : مع (بقرة)
- عاديات : مع (خيل)

غنــم

جاء اسم (غنم) ثلاث مرات في القرآن الكريم تلازمه في كل موضع دلالات بعينها ، وهو ما يظهر من دراسة تلك المواضع كما يلي:

الموضع الأول: المحرَّم من الغنم على اليهود:

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٦]، وفي هذا الموضع نجد هذه الدلالات :

١- **التشريع لليهود:** فالتحريم هنا يخص اليهود (بني إسرائيل) فالآيات بعدما تحدثت عن تشريع ما يباح أكله للمسلمين تحدثت عن تشريع الله تعالى لليهود فيما يباح، فقد جعل الله تعالى في كل شريعة ما يباح وما يحرم ليتعبد المؤمنون بطاعة أوامره، ويلاحظ أنه في الحديث عن تشريع المسلمين لما يحلّ لهم لم يأتِ اسم (غنم) وإنما جاء اسم (ضأن) واسم (معز) وذلك في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ [الأنعام:١٤٣]، وعدل عن هذين الاسمين إلى اسم (غنم) عند الحديث عن شريعة اليهود .

٢- **التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مرفوضة :** في تفسير هذه الآية التي جاء فيها اسم (غنم) نجد بما ثبت في الصحيحين دلالة تحوّل صورة مقبولة إلى صورة أخرى مرفوضة، فقد ذكر ابن كثير وغيره ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : ((قاتَل الله اليهود؛ إن الله لما حرّم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه))[1] فالصورة الأولى لهذه الشحوم هي صورتها الطبيعية المحرم أكلها، وهي مقبولة بذلك غير مستنكرة ، والصورة الثانية هي صورة هذه الشحوم

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٢١١ والحديث في صحيح البخاري ٢٢٢/٣ (٤٦٣٣) وصحيح مسلم ٦/٦ (١٥٨١)

بعد تحوّلها لمادة ذائبة للتحايل على تحريمها والقيام ببيعها وأكل ثمنها، وهي صورة مرفوضة مستنكرة، ففي تفسير الآية دلالة تحوّل الشيء إلى صورة مستنكرة.

٣- اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد : ويلاحظ في هذا الموضع وجود دلالة اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد ، دخل أحدهما على الآخر حيث إن هذا التشريع يفصل بين عنصرين في الغنم، الأول اللحم وبعض الشحم المباح أكله، والثاني الشحم المحرم أكله فيجتمع في الذبيحة الواحدة عنصران أحدهما مباح والآخر محرم ، والمحرم هو معظم الشحم، وهو العنصر الداخل على اللحم في تكوين الجسد، وهذان العنصران متداخلان يحتاج فصلهما إلى قيام الإنسان بذلك ، فليس الأمر كما هو عند المسلمين في ذبائحهم ، إذ يُهرق الدم المسفوح عند الذبح باندفاعه بنفسه خارج الذبيحة، ثم لا يحتاج المسلم إلى فصل عنصر عن الآخر في جسد الذبيحة، على غير اللحم المباح والشحم المحرم عند اليهود فهما متداخلان في الجسد الواحد حتى بعد الذبح.

٤- وجود حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد : فقد جاءت هذه الآية بالحديث عن شريعة اليهود فيما أحل وحُرم عليهم ، والحل والتحريم عندهم كان من شريعة إسرائيل (يعقوب) عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣]، ثم ما حرّم الله تعالى عليهم في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، فالآية في سورة الأنعام تتحدث عن شريعة اليهود في الحل والتحريم ، وقبلها مباشرة تتحدث عن شريعة الإسلام في الشأن نفسه ، يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ [الأنعام:١٤٥]، فالسياق يتحدث عن شريعتين (طريقتين) لنبيين تختلف فيه كل شريعة (طريقة) عن الأخرى فشريعة الإسلام المنزلة على محمد ﷺ تختلف عن

شريعة اليهودية المأخوذة من إسرائيل وموسى عليهما السلام ، لكن كل شريعة منهما تقوم على الأصل التعبدي في الحل والتحريم ، وعلى أصل الإخلاص وحسن القصد لله تعالى ، ففي السياق دلالة على وجود طريقتين أو حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد مع اختلاف التشريع .

ويلاحظ أن أسلوب الآيات يصف شريعة الإسلام باليسر ، فالأصل في تشريع الأكل الحل ، ولا حرج على المضطر والله غفور رحيم ، فقد جاء أسلوب القصر ، بنفي التحريم ثم استثناء المحرمات ، ويلاحظ أن أسلوب الآيات تصف شريعة اليهود بالتضييق عليهم ، فبدأ بالتحريم دون نفي واستثنى منه المباح ، وعلل هذا التحريم بأنه جزاء على بغيهم ، فالآيات تذكر شريعتين (طريقتين في الحكم) صحيحتين لأنهما من الشرائع السماوية ، مع وصف أحداهما بالتيسير والأخرى بالتشديد والتضييق .

الموضع الثاني : غنم موسى التي يهشّ عليها بعصاه :

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طـه:١٧-٢٢]، ونجد في هذا الموضع الدلالات الملازمة للاسم وهي كما يلي :

١- شريعة بني إسرائيل : حيث إن هذا الموضع الذي ورد فيه اسم (غنم) يتحدث عن الغنم بصلته بنبي الله موسى عليه السلام الذي أرسل ليخلص بني إسرائيل من ظلم فرعون كما جاء في السياق: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ ﴾ [طـه:٤٧]، وموسى عليه السلام هو النبي الذي أنزلت عليه التوراة المتضمنة شريعة اليهود فيما هو مباح أو محرم عليهم ، فالحديث عن الغنم بوصفه غنم موسى عليه السلام يشير إلى ما أنزل على موسى من أحكام شريعة اليهود ، بل

ويؤخذ من كل ما يفعله النبي تشريع الإباحة إلا ما نُهي عنه ، فالحكم الشرعي يؤخذ من كل قول أو عمل ينسب للنبي ، ففي مثل هذا الوصف (أهشّ بها على غنمي) يستدل به على إباحة أكل الغنم ورعية وفضل العمل وكسب اليد ، فهو من أدلة التشريع .

٢- التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مرفوضة : وفى هذا الموضع نجد دلالة التحوّل من صورة مقبولة (معتادة) إلى صورة مرفوضة (مستنكرة) وذلك أن العصا التي كان يهشّ بها موسى على غنمه تحولّت إلى حية تسعى ، فبعدما كانت مقبولة لدى موسى عليه السلام تلامس غنمه في أنس وسلام ، تحوّلت صورتها إلى حية تهتزّ كأنها جان ، خاف منها موسى عليه السلام ، فهي صورة مستنكرة لموسى وللغنم أيضًا الذي يفر من أمثال هذه الحية .

٣- اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد : ونجد في هذا الموضع أيضًا دلالة اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد، وتلك الدلالة جاءت في الآيات في شيئين ، الأول : في العصا التي جمعت بين عنصرين مختلفين أحدهما: صفتها اليابسة وطبيعتها الجامدة ووظيفتها المعتادة التي ذكرها موسى ، والعنصر الآخر صفتها اللينة كحية تسعى ، وطبيعتها الحيوانية ، ووظيفتها في الإعجاز والإبهار ، فاجتمع في العصا التي تنقلب حية وتعود سيرتها الأولى عنصران مختلفان دخل أحدهما - وهو عنصر الحياة - على الآخر - وهو عنصر الجماد - والشيء الثاني الذي اجتمع فيه عنصران مختلفان هو يد موسى عليه السلام ، فيد موسى بوصفها يد إنسان دخل عليها عنصر آخر هو البياض من غير سوء ، وهو نور رباني جعله الله تعالى آية للناس فاجتمع في اليد عنصران مختلفان دخل أحدهما على الآخر ، حيث دخلت المعجزة (القدرة) النورانية على طبيعة اليد البشرية .

٤- وجود حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد: والسياق هنا يشير إلى وجود طريقتين تُنسب كل طريقة منهما لنبي ، حيث سأل موسى عليه السلام الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام ، وفيما يبدو والله أعلم أن موسى عليه السلام كان يدرك أن سجيّته تختلف عن سجيّة أخيه، فسجيّة موسى تميل إلى القوة والعنفوان والحدّة ، وسجيّة هارون تميل إلى اللين واللطف ، وتحتاج الدعوة في سبيل الله تعالى إلى كلتا السجيّتين ، وهذا ما صرّح به السياق في سورة طه حيث أمر الله تعالى موسى وهارون باتباع سجيّة هارون عليه السلام وهي سجيّة اللين ، فقال الله تعالى لهما : ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا

لَّيِّنًا﴾ [طـه:٤٣-٤٤]، ويأمر الله تعالى موسى وهارون بإلقاء السلام أمام فرعون وعدم البدء بدعوته إلى التوحيد ، بل البدء بطلب الرحمة والعدل من فرعون بالعفو عن بني إسرائيل ، يقول تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه:٤٧]، فهو أسلوب لين فيه تلطف وتدرّج في الدعوة .

وليس هذا هو أسلوب الدعوة الوحيد ، فهناك أسلوب التغليظ والتشديد المناسب لسجية موسى عليه السلام، ولذلك اختلف أسلوب الأمر لموسى وحده للقيام بالدعوة، يقول تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧-١٩]، فالدعوة هنا تتبع أسلوب موسى عليه السلام في حدّة القول، وأسلوب الإنكار، والبدء بطلب اتباع موسى والاهتداء إلى الله تعالى ، وهذا الاختلاف في أسلوب الدعوة اختلاف يكمّل كل واحدٍ منهما الآخر، وهو تنوّع في السجية جعله الله تعالى في خلقه .

وسورة طه التي جاء فيها اسم (غنم) تقصّ ما يوضح اختلاف طريقة موسى عن طريقة أخيه ، إذ تتحدث عن غضب موسى حينما علم بعبادة بني إسرائيل العِجلَ، يقول تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ﴾ [طـه: ٨٦]، وسلك موسى مع أخيه هارون مسلك العنفوان ، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طـه :٩٢ – ٩٤]، وذكرت سورة الأعراف إلقاء موسى الألواح من شدة غضبه ، وتحدثت سورة طه التي جاء فيها اسم (غنم) عن سجية هارون إذ ظهرت سماتها في هذه الحادثة

(عبادة العجل) فتُذكر سورة طه قول هارون اللين لبني إسرائيل ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ [طه: ٩٠]، وهذا الأسلوب يناسب بدء الدعوة لقوم لم يعرفوا الإيمان من قبل، أما بنو إسرائيل فقد عرفوا الإيمان مع موسى ونجاهم الله تعالى من فرعون فكانت عبادة العجل ردّة منهم تحتاج إلى أسلوب أشد في التوبيخ ، وقد علل هارون بنفسه اتباع هذا الأسلوب اللين مع بني إسرائيل فقال: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤]، فهو أسلوب يتعامل مع هذه الفتنة العظيمة بخشية وحذر.

فالسورة توضّح أن هناك طريقتين في الحكم على الأمور والدعوة، كلاهما صحيح إذا استعملت كل طريقة في المقام المناسب لها، فالطريقتان لنبيين كريمين ويصدران عن حُسن قصد لله تعالى، فهما طريقتان صحيحتان تتصف إحداهم باليسر واللين، والأخرى بالشدة والقوة.

الموضع الثالث : حكم داود وحكم سليمان عليه السلام في الغنم :

حيث جاء اسم (غنم) في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨- ٧٩]، ونجد في هذا الموضع الدلالات الملازمة لاسم (غنم) وهي كما يلي :

١- التشريع لبني إسرائيل : فالآية تتحدث عن حكم داوود وحكم سليمان عليهما السلام فيما أحدث هذا الغنم من إفساد للحرث (شجرة الكَرْم) يقول ابن كثير عن ابن مسعود في تفسيره للآية: ((كَرْمٌ قد أنبتت عناقيده فأفسدته ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم ، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله ، قال داود: وما ذاك ؟ قال سليمان: تدفع الكَرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم

إلى صاحب الكرم فيصيب منها [أي من لبنها ونفعها كما هو في روايات أخرى] حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها))[1] وهو تشريع لبني إسرائيل يقضي على من تسبب في إفساد شيء بإصلاح ما أفسده، والرجوع إلى المتضرِّر بعوض ما تلف منه ، فالآية تتحدث عن شريعة بني إسرائيل ، فداوود وسليمان من أنبيائهم ، وهما من نسل يعقوب (إسرائيل) عليه السلام .

٢- التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مرفوضة: ونجد دلالة التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مستنكرة ، وذلك من تحوّل صورة عناقيد العنب قبل رعي الغنم فيها إلى صورة نفش (دهس) الغنم لهذا الحرث وإفساده لثمره، وهي صورة مستنكرة لمن رآها ولمالك الحرث.

٣- اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد: وفي الآية الكريمة نجد دلالة دخول عنصرين مختلفين في شيء واحد ، وذلك بدخول طعام غير مباح لأن صاحبه لم يأذن بأخذه ، على طعام مباح وهو الذي يترك للغنم من نبات الأرض وما سمح به مالكه ، فهذه الغنم جمعت في طعامها بين ما هو مسموح لها أكله وما لم يسمح لها بأكله ، وهما عنصران مختلفان اجتمعا في طعام الغنم وجسده .

٤- وجود حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد: والآيات تصرّح بوجود حكمين أحدهما لداود عليه السلام وهو إعطاء الغنم لمالك الحرث ، والثاني لسليمان عليه السلام وهو إصلاح مالك الغنم للحرث ، وانتفاع مالك الحرث بالغنم لحين إصلاح حرثه ، وكلا الحكمين صحيح لقوله تعالى : ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ولذلك نقل ابن كثير عن الحسن البصري قوله: ((فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود ، ثم قال - يعني الحسن - : إن الله اتخذ على الحكام ثلاثاً: لا يشتروا به ثمنا قليلاً ، ولا يتبعوا فيه الهوى ، ولا يخشوا فيه أحدًا))[1] فكلا الحكمين (الطريقتين والشريعتين) صواب مع اختلافهما ، فحكم داود عليه السلام أشد على صاحب الغنم ، ففيه ردع عن إفساد مال الآخرين، أما حكم

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٠٧

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٠٧.

سليمان فيه إصلاح الإفساد ودفع الضرر ثم يرد الغنم لصاحبه، فهو أيسر من جهة إبقاء المالك على ما يملك، دون الإضرار بمن فسد ماله بعدم تعويضه .

فالحكمان أحدهما يتصّف بالشدَّة، والآخر يتصف باليسر، وكلاهما صحيح فيما يراه الحاكم صالحًا لاختلاف الأحوال، وكلاهما من نبيين يحسنان القصد لله تعالى.

وهكذا نجد أن اسم (غنم) في المواضع الثلاثة لازمته دلالة التشريع لبني إسرائيل (بتشريع ما يحرم أكله من الغنم ، وتشريع موسى الذي أنزلت عليه التوراة، وتشريع داود وسليمان) ودلالة التحوّل من صورة مقبولة معتادة إلى صورة مرفوضة مستنكرة (بتحوّل الشحم المتروك أكله إلى مادة ذائبة تباع ويؤكل ثمنها ، وتحوّل العصا التي يهشّ بها موسى على الغنم إلى حية يخاف منها موسى والغنم ، وتحوّل الحرث بثماره النضرة إلى نفش كالقطن المنفوش) كذلك لازمت اسم (غنم) دلالة وجود عنصرين مختلفين يجتمعان في شيء واحد (باجتماع المباح من اللحم والشحم مع المحرم من الشحم في الذبيحة الواحدة ، واجتماع صفة الجماد اليابس مع صفة الحياة والحركة في العصا ، أو اجتماع النورانية مع طبيعة اليد البشرية ، واجتماع الطعام المباح رعيه للغنم مع الطعام غير المسموح برعيه) ولازمته دلالة وجود حكمين أي طريقتين أو شريعتين لنبيين ، يوصف أحد الحكمين باليسر، والآخر بالشدة (التشديد والتضييق في شريعة اليهود والتيسير في شريعة الإسلام ، الشدّة في طريقة موسى واللين في طريقة هارون ، الشدّة في حكم داوود والتيسير في حكم سليمان) فهناك طريقتان مختلفتان في الحكم مع أن كل حكم منهما صواب وينسب لنبي من أنبياء الله تعالى .

فاسم (غنم) في القرآن الكريم جاء مع اللزوم الدلالي الذي يميز استعمال الاسم في القرآن الكريم عن استعماله في غير القرآن الكريم ، ويميز أيضًا استعمال هذا الاسم عن استعمال غيره من الأسماء في القرآن الكريم ، فالضأن والماعز جاءت مع التشريع للمسلمين ، وجاء ذكر ما ذبحه إبراهيم عليه السلام بوصفه (ذبح عظيم) دون تسميته بالغنم أو نسبته إلى الغنم كأن يكون الكلام : وفديناه بذبح من الغنم عظيم ، فعدم وجود الدلالات الملازمة لاسم (غنم) يقتضى عدم وجود الاسم.

قـــردة

في بادئ الأمر كنت أظن عدم دخول اسم (قردة) في البحث عن اللزوم الدلالي لأن المواضع الثلاثة التي جاء فيها الاسم تتحدث عن مسخ اليهود قردة ، وبذلك يكون استعمال الاسم في مضمون واحد في كل موضع ، وليس مع دلالة واحدة تلازمه في مضامين متغايرة ، لكن وجدت أن استعمال القرآن الكريم لاسم (قردة) جاء مع لزوم دلالي آخر غير دلالة مسخ اليهود قردة ، فهناك دلالة أخرى غير ظاهرة تأتي في سياق كل موضع ، وتأتي في مضامين متغايرة ، والجمع بين المواضع عن طريق هذه الدلالة غير الظاهرة يوجد تشبيهاً له غرضه البلاغي ، وهي من فوائد اللزوم الدلالي، ولذا يمكن القول أن اسم (قردة) جاء مع تغاير في المضمون الذي توجد فيه الدلالة الملازمة للاسم ، ويظهر ذلك من خلال دراسة مواضع الاسم الثلاثة والتي جاءت في قوله تعالى:

١- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة:٦٥].

٢- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة :٦٠].

٣- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف:١٦٦].

وهذه الآيات تشترك في دلالة مسخ اليهود قردة ، وهناك دلالة أخرى جاءت في كل سياق بصورة مختلفة ، مفتاح هذه الدلالة هو قوله تعالى في الموضع الأول في سورة البقرة: (فِي السَّبْتِ) حيث دل ذلك على أن هذه العقوبة (مسخ اليهود قردة) لم تكن عامة لجميع اليهود وإنما كانت لطائفة منهم اعْتَدُوا في يوم السبت ، وهو ما يستدعي التساؤل عن نوع اعتداء اليهود في السبت ، ونجد أن الإجابة واضحة في الموضع الثالث في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ٦٣]، ومعنى ذلك أن

كلاً من موضع سورة البقرة وموضع سورة الأعراف يدلان على أن مسخ اليهود قردة كان لاعتداء طائفة منهم يوم السبت بصيدهم من البحر ، والصيد من البحر فعل مباح أصلاً وجاء تحريمه في وقت محدد هو يوم السبت ، فحصل التعدي (الذنب) بسبب فعل المباح في وقت تحريم فعله ، ولعل وصف (حاضرة البحرة) في سورة الأعراف يعلّل هذا التحريم إذ كان البحر متاحًا متيسرًا لهم لقربهم منه ، فأراد الله تعالى امتناعهم عن الصيد في وقت محدّد لمعرفة نعمة الله تعالى عليهم وتيسيره لها في بقية الأيام ، وأيًا ما كانت علّة التحريم فإن صيد البحر مباح عند أهل هذه القرية إلا يوم السبت ، فالذنب جاء بفعل المباح في غير وقت إباحته ، وليس بفعل محرم أصلاً كأكل السحت الذي كان جزاؤه مسخهم خنازير.

فالموضعان في سورة البقرة وسورة الأعراف يظهران أن مسخ اليهود قردة كان لصيد السبت أي لصيدهم المباح أصلاً في وقت تحريم الصيد، أما الموضع الثالث وهو في سورة المائدة الذي جاء فيه مسخ اليهود قردة ، فإنه لم يذكر أن هذه العقوبة جزاءٌ لصيدهم يوم السبت، وإنما ذكر مثيل هذه الجريمة وجعله محرمًا على المسلمين ، حيث جاء في سورة المائدة في أكثر من موضع تحريم الصيد على المسلمين وقت الإحرام ، وذلك عندما يكون المسلمون حاضري فريضة الحج أو العمرة ، وهذا التشريع هو أول آية جاءت في سورة المائدة ، فإذا كان اسم المائدة يدل على الطعام وأخِذ من طلب حواري بني إسرائيل من عيسى عليه السلام مائدةً من السماء ، فإن السورة تشرّع ما يكون مباحًا من طعامٍ للمسلمين على مائدتهم ، ومنه ما هو مباح إلا في وقت محدّد يكون فيه المسلم مُحْرمًا ، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ [المائدة:١]، فهو حكم تعبدي إذ يحكم الله تعالى بما يريد، فالآية تختتم بردِّ الأحكام التشريعية لأصل العبودية، والنزول لحكم الله تعالى ، سواء فهمت علّة التشريع أو لم تفهم ، وليس هذا هو الموضع الوحيد في صورة المائدة الذي يشرّع للمسلمين التحريم المؤقت للصيد المباح في الأصل ، إذ جاء هذا التحريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ [المائدة: ٩٥]، وبعد تفصيل هذا التشريع يأتي القرآن الكريم عقب هذه الآية مباشرة بما يؤكد وجود صلة دلالية بين هذا التحريم وتحريم صيد البحر

يوم السبت عند اليهود ، فقد أعقب هذه الآية قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة :٩٦]، فهذه الآية فصلٌ حقٌّ ودلالة ظاهرة على أن هناك شبهًا بين هذا التشريع عند المسلمين والتشريع بتحريم صيد البحر يوم السبت عن اليهود.

ويوجد فرق في التشريعين أراد الله تعالى به مخالفة اليهود ، فكما أن الله تعالى حرَّم على اليهود صيد البحر يوم السبت ، حرَّم سبحانه على المسلمين صيد البر وقت إحرامهم لبيته الحرام ، فكلاهما تحريم في وقت محدد لطعام مباح في غير وقت التحريم ، أما الفرق (المخالفة) بين الشريعتين فيأتي من تحريم صيد البحر على اليهود وإباحته للمسلمين في وقت تحريم صيد البر عند المسلمين، ونصّت الآيات على ذلك على الرغم من أن المسكوت عنه مباح على الأصل، أي أن الآيات لو لم تنصّ على إباحة صيد البحر للمسلمين وقت إحرامهم لفهم هذا الحكم من عدم ذكر صيد البحر من المحرمات على المسلم المُحْرِم ، لكن الآيات نصت على إباحة صيد البحر للمُحْرِم إظهارًا للمخالفة مع شريعة اليهود مع اتفاق الشريعتين في جوهر الحُكم، فالشرائع السماوية تتفق في أصول الأحكام التعبدية والحكمة منها ، ومن ذلك شكر النعمة بتقييد الميسر والتحريم المؤقت .

وبهذا يُدرك أن سورة المائدة ذكرت عقوبة مسخ اليهود قردة دون حديثها عن جريمة اليهود الذين استحقوا هذه العقوبة، وإنما جاءت بمثيل هذه الجريمة وهذا الاعتداء في شريعة المسلمين ، فتحدثت عن تحريم صيد المسلم من البر وقت إحرامه، والوعيد لمن فعل ذلك، وهذا الوعيد هو ما أكدت عليه الآيات يقول تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة : ٩٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة:٩٦]، فتحريم صيد البر على المسلم المحرم جاء في سورة المائدة مع الوعيد لمن اعتدى بفعل ذلك ، ومع تحقق الوعيد لمن فعل ذلك وهم أهل القرية الذين اعتدوا يوم السبت بالصيد ، فمَسْخُ اليهود قردة جاء في سورة المائدة مع دلالة تحريم الصيد وقت التحريم وذلك بتحريم صيد المُحرم ، كما جاء مسخ اليهود قردة في سورتي البقرة والأعراف مع دلالة تحريم

الصيد وقت التحريم ،وذلك بتحريم صيد يوم السبت عن اليهود ، فجميع المواضع التي جاء فيها اسم (قردة) جاءت فيها دلالة تحريم الصيد في وقت محدد .

ولعله من الملاحظ استعمال القرآن الكريم للفظ الاعتداء لليهود والمسلمين، فوصف اليهود بقوله تعالى: ﴿ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، وحذر المسلمين بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٩٤]؛ ليشير القرآن الكريم إلى أن الفعل واحد وإن تغايرت صورته.

فالقرآن الكريم يعمد إلى الربط بين تحريم الصيد على المُحْرم ، وتحريم صيد السبت على أهل القرية من اليهود، وذلك بعدة روابط هي:

١- الربط بين عقوبة مسخ اليهود قردة وتحريم الصيد على المحرم : اقتران الحديث عن تحريم الصيد في وقت محدد عند المسلمين وعند اليهود بذكر عقوبة مسخ اليهود قردة ، حيث جاءت هذه العقوبة مع تحريم الصيد يوم السبت في سورتي البقرة والأعراف، وجاءت مع تحريم صيد المُحْرم في سورة المائدة .

٢- المقابلة (المخالفة) بين صيد البرّ وصيد البحر: اقتران الحديث عن تحريم صيد البرّ على المُحْرم عند المسلمين في سورة المائدة بالنص على إباحة صيد البحر للمُحْرم ، إشارة إلى شريعة اليهود التي فيها تحريم صيد البحر يوم السبت على أهل القرية حاضرة البحر.

٣- الاشتراك في لفظ التعدي : اقتران تحريم الصيد عند المسلمين وعند اليهود بلفظ التعدِّي .

٤- وجود زمن محدّد للتحريم (السبت/ أشهر الحج) : فقد جمعت سورة البقرة بين عقوبة المسخ لاعتداء اليهود يوم السبت والحديث في موضع آخر عن المُحَرّم فعله في أشهر الحج والمُحَرّم فعله على الحاج أو المعتمر من الحلق أو الرفث أو الفسوق والجدال ، وفى ذلك إشارة إلى تحريم الصيد على المُحْرم وإن لم تصرح به سورة البقرة ، فسورة البقرة جمعت بين اعتداء اليهود بصيدهم المُحَرّم يوم السبت والمُحَرّم فعله على المسلمين وقت الإحرام، وهو يتضمّن تحريم الصيد ، وقد صرّحت سورة المائدة بالجمع بين تحريم الصيد على المُحْرم وعقوبة مسخ اليهود قردة .

٥ـ الاشتراك في علّة واحدة لتحريم صيد السبت على أهل القرية وتحريم التمتّع والقرآن على أهل مكة: وهو من الروابط الدلالية البديعة في القرآن الكريم، حيث يربط بين مكان تحريم الصيد عند اليهود ومكان تحريم الصيد عند المسلمين بوصف واحد هو (حاضرة البحر) في سورة الأعراف و(حاضري المسجد الحرام) في سورة البقرة ، ولم يرد هذا الوصف (حاضر) مضافاً في القرآن الكريم إلا في هذين التركيبين .

ففي سورة الأعراف التي جاء فيها التفصيل في اعتداء أهل القرية بالصيد يوم السبت جاء التركيب الأول (حاضرة البحر) في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، فجاء اسم الفاعل (حاضر) مضافاً للمكان الذي بسبب قرب القرية منه كان التحريم ، وهو أيضاً مكان التحريم ، ولم يأتِ اسم الفاعل (حاضر) مضافاً في القرآن الكريم إلا مرة ثانية وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وهذه الآية تشريع لما هو محرم فعله على المحْرم في الحج أو العمرة ، وتشريع بجواز الجمع بين الحج والعمرة (التمتع أو القِران) لغير أهل مكة وذلك تيسيرًا للقادمين من السفر، فمن يأتي للحج من مكان بعيد قد يشقّ عليه الإتيان ثانية لأداء العمرة، فيسر الله تعالى عليه بالجمع بين الحج والعمرة ، أما من هو من أهل مكة فليست له هذه الرخصة لأن أداء العمرة في غير وقت الحج سهّل ميسر بالنسبة له لقرب أهل مكة من المكان ، فهم كما وصفهم القرآن الكريم (حاضري المسجد الحرام) وهو وصف يدل على سبب منعهم من الجمع بين الحج والعمرة ، فإذا عدنا إلى تركيب (حاضرة البحر) نجد أنه يصف أهل هذه القرية بقربهم من البحر قربًا يسهّل عليهم الصيد في أي وقت دون مشقة الانتقال ، ولذلك حرّم الله تعالى عليهم صيد البحر يوم السبت ليشعروا بهذه النعمة .

وبذلك نجد أن كلاً من وصف (حاضرة البحر) ووصف (حاضري المسجد الحرام) تعليلٌ لتحريم مؤقت لما هو مباح ، بتحريم الصيد يوم السبت وتحريم العمرة وقت الحج (لاحظ المشابهة بين الصيد والعمرة فكلاهما مغنم، وبين يوم السبت وأيام الحج فكلاهما وقت عيد وقداسة دينية) وسبب هذا التحريم قرب المكان بالنسبة لمن وقع عليهم التحريم ، فقد جلب هذا القرب يسرًا يقابله التضييق في وقت محدد .

وكذلك نجد أن وصف (حاضر) جاء مضافًا لمكان هذا التحريم المؤقت، وهو مكان تحريم الصيد عند اليهود ، ومكان تحريم الصيد عند المسلمين ، فالعلاقة بين الوصفين (حاضرة البحر) (حاضري المسجد الحرام) تؤكد على وجود ترابط بين تحريم الصيد يوم السب عند اليهود (الذي تحدثت عنه سورتي البقرة والأعراف مع مسخ اليهود قردة) وتحريم الصيد وقت الإحرام عند المسلمين (الذي تحدثت عنه سورة المائدة مع مسخ اليهود قردة) فاللزوم الدلالي يأتي من وجود دلالة مشتركة بين المضامين المتغايرة ، حيث لم يرد تحريم صيد السبت في سورة المائدة ، وتحريم الصيد وقت الإحرام لم يرد في سورة الأعراف ، ولم تصرِّح به سورة البقرة وإن تحدثت عن المحرمات الأخرى وقت الإحرام *.

٦- الجمع بين مكاني التحريم في سياق واحد : وكما أن وصف (حاضر) جمع بين مكاني التحريم فجاء تركيب (حاضري المسجد الحرام) في سورة البقرة وتركيب (حاضرة البحر) في سورة الأعراف ، جاء الجمع بين مكاني التحريم في سورة المائدة في سياق واحد ، حيث ذكرت الكعبة البيت الحرام وهي مكان تحريم الصيد وقت الإحرام مع البحر وهو مكان تحريم صيد السبت، وذلك بأن نصّت الآيات على جواز صيد البحر للمحرم يقول تعالى: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، ويقول سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦]، ويقول تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ [المائدة: ٩٧]، فالسياق جمع بين مكاني التحريم .

فاسم (قردة) الذي جاء في وصف مسخ اليهود جاء مع لزوم دلالي ، هو تحريم الصيد في وقت محدد ، وفائدة هذا اللزوم الدلالي أنه يجمع بين صورتي التحريم ، وهما تحريم صيد البحر يوم السبت وتحريم صيد البر وقت الإحرام ، عن طريق وصف عقوبة من خالف التحريم الأول وهي المسخ قردة، ليكون هذا الجمع بمنزلة التشبيه بين الحُكمين غرضه الوعيد لمن خالف هذا التشريع ، ففائدة اللزوم الدلالي هنا الوعيد ، كما يفيد اللزوم الدلالي وجود أصول واحدة لأحكام الشرائع السماوية مع اختلاف فروعها (أشكال تطبيق الأحكام التعبدية) لتتميز كل شريعة عن الأخرى .

* ملحق بالدراسة جدول توضيحي لملاحظة الترابط الدلالي بين السور الثلاثة وطريقة تكوين اللزوم الدلالي القائم على اختلاف المضامين.

كـــــلب

جاء اسم (كلب) خمس مرات في القرآن الكريم وذلك في موضعين، الأول في سورة الأعراف والثاني في سورة الكهف، ويلاحظ من دراستهما دلالات مشتركة (ملازمة) للاسم كما يلي:

أولاً : قصة مَن انسلخ مِن الآيات في موضع سورة الأعراف :

وجاء اسم (كلب) في هذا الموضع مرّة واحدة ، يقول تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦]، ونجد في هذا الموضع هذه الدلالات:

١- إقامة الحجة على اليهود المعاصرين للرسول ﷺبنزول القرآن بأخبار السابقين التي لدى اليهود دراية بها :

إذ جاء في تفسير هذا الموضع أن المراد بالرجل الذي انسلخ من الآيات رجل من بني إسرائيل ، يقول الزمخشري: (((واتلُ عليهم) على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا) هو عالم من علماء بني إسرائيل))[1] فالخطاب هنا للرسول محمد ﷺ ليخبر اليهود عن قصة رجل من أسلافهم من بني إسرائيل ، وذلك ليدرك اليهود أن الرسول ﷺ يعلم هذه الأخبار عن طريق الوحي ، يقول الزمخشري :((فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته ، وزاغوا شبه زيغه، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانًا بك ، وتزداد الحجة لزوماً لهم))[2] فالآيات تأمر بإخبار اليهود ، وتتحدث القصة عن رجل منهم لهم علم به ، وفى إخبار اليهود تأكيد على صدق نبوة الرسول ﷺ .

٢- ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر:

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢ / ٢٢٠
(٢) نفسه ، ٢ / ٢٢١

ويلاحظ في وصف الآيات لصورة الكلب أنها تصفه بثبوت حالة واحدة، وهي حالة اللهث ، ويعرِّف الراغب معنى اللهث بقوله: ((هو أن يُدْلِع لسانه من العطش))[١] وبمثله قال أبو السعود: ((إدلاع اللسان بالتنفس الشديد))[٢] فالكلب يلزم حالة واحدة ، يقول الزمخشري: ((هي مَثَلٌ في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء محمَّل عليه أي شد عليه وهيج فطرد ، أو ترك غير متعرَّض له بالحمل عليه))[٣] وإذا كانت صورة الكلب تدل على ثبوته على حالة واحدة، فإن صورة الإنسان الذي يكون معه تدل على تغير فعله ، فتارة يحمل على الكلب وتارة يتركه ، فحالة الكلب ثابتة أمام تغير حالة الإنسان الموجود معه .

وهذا هو الغرض من التشبيه هنا، حيث لم يستجب هذا الرجل للآيات التي جاءته كما أن الكلب لم يستجب لمن معه فظلّ على حالة واحدة من اللهث.

٣- صورة بسط الكلب لعضو من أعضائه :

سبق وأن جاء في تعريف لهث الكلب بأنه إدلاع اللسان ، أي إخراج اللسان وبسطه خارج فم الكلب ، فالكلب يبسط عضوًا من أعضائه .

٤- دلالة افتراش الأرض:

وصورة الكلب تشبيه لمن تصفه الآيات بأنه أخلد إلى الأرض ، يقول الراغب: ((أي ركن إليها ظاناً أنه يخلد فيها))[٤] فوصف الرجل بأنه أخلد إلى الأرض تَحْمل دلالة معنوية وهي ظنه الخلود في الأرض ، وتحمل دلالة حسية وهي افتراش الأرض كالكلب بعدما انصرف (تولَّى) هذا الرجل عن التوجه إلى السماء ، فتشبيه الرجل هنا بالكلب جاء مع وصف المشبه (الرجل) بصفة موجودة في الكلب وهي افتراشه الأرض، فقوي التشبيه بين حال هذا الرجل والكلب (والذي غرضه عدم الاستجابة والخسة) بوصف المشبه بصفة أخرى للمشبه به .

٥- عدم استجابة الكلب للمؤثرات :

الغرض من التشبيه هنا عدم استجابة الرجل للآيات، كالكلب الموصوف بعدم استجابته لمن يحمل عليه، فهي صفة رئيسية هنا في التشبيه.

ثانياً : قصة أصحاب الكهف في موضع سورة الكهف :

وجاء اسم (كلب) في الموضع الثاني أربع مرات وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ

(١) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ٣٤٥
(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ / ٥٣
(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٢ / ٢٢٠
(٤) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ١١٨

ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ [الكهف:٢٢]*

وفي هذا الموضع جاءت هذه الدلالات :

١ـ إقامة الحجة على المشركين واليهود المعاصرين للرسول ﷺ بنزول القرآن بأخبار السابقين التي لدى اليهود دراية بها :

فالحديث هنا عن هذا الكلب يأتي في قصة أصحاب الكهف ، ولهذه القصة في سورة الكهف سبب نزول يذكره ابن كثير بقوله : ((عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم : سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا: إنكم أهل توراة وجئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال : فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبي مرسل ، وإلا فرجل متقوّل تروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو؟))[1] فقصة أصحاب الكهف نزلت تصديقًا للرسول ﷺ بإخباره قصصًا يعلمها اليهود ويسألونه عنها للتأكد من صدق الوحي إليه .

٢ـ ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر :

فالآيات في سورة الكهف تصف صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه بالوصيد ، وهو وصف لحالة ثابتة استمرت سنين طوالاً ، ويؤكد ثبوت هذه الحالة مجيء الوصف باسم الفاعل (باسط) وليس بالفعل المضارع (يبسط) الذي يفيد الحركة والتجدّد الفعلي ، على غير الاسم الذي يفيد الثبوت والاستمرار ، يقول عبد القاهر

* رقم الآية التي تصف أصحاب الكلب مع كلبهم هو رقم (١٨) وهو رقم السورة أيضًا ، وهذه السورة تحمل اسم (الكهف) فقصة أصحاب الكهف رئيسية في السورة وتميزها عن غيرها ، ورقم (١٨) هو أيضًا ناتج جمع عدد أصحاب الكهف المذكور في الآراء التي ذكرتها السورة ، فقيل أنهم مع كلبهم أربعة وقيل ستة وقيل ثمانية وحاصل هذه الأعداد رقم (١٨) وهو رقم السورة ورقم الآية التي تصف صورة أصحاب الكهف مع كلبهم .

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٥ /٨٢

الجرجاني: ((موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّدَه شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضى تجدُّدَ المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء))[1] فوصف (باسط ذراعيه) يفيد ثبوت الكلب على حالة واحدة وأكدّت الآيات ذلك بأن ذكرت تقلّب أصحاب الكهف ذات اليمين وذات الشمال من غير أن تذكر تغير حركة الكلب ، فحال الكلب ثابتة ، أمام تغير حركة من معه من البشر .

٣- صورة بسط الكلب لعضو من أعضائه :

فصورة الكلب كما تصف الآيات تفيد بسطه لذراعيه أي مدّهما خارج جسده.

٤- دلالة افتراش الأرض :

وقد كان من الممكن الاكتفاء بوصف صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه غير أن الآيات وصفت صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه بالوصيد ، أي على الأرض ، يقول ابن منظور: ((الوصيد: فناء الدار))[2] فالآية تنصّ على وصفه وهو مسجًّى على الأرض .

٥- عدم استجابة الكلب للمؤثرات :

فالآيات تصف أصحاب الكهف ومعهم الكلب بعدم الاستجابة للمؤثرات، كالشمس والبرد والزمن والجوع ، فهم رقود وكلبهم في عزلة عن العالم دون استجابة ، كتغير الأيام أو حوادث الزمان ، ليظلّ في هذه العزلة زمنًا طويلاً .

ومن ذلك نجد أن اسم (كلب) في كلا الموضعين لازمته دلالة إقامة الحجة على اليهود بإنزال آيات تخبرهم قصص السابقين التي لديهم دراية بها، ولازمته دلالة ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر ، ولازمته صورة بسط الكلب لعضو من أعضائه ، ودلالة افتراش الأرض (التي جاءت للرجل الذي يشبه الكلب في سورة الأعراف ، وجاءت للكلب في سورة الكهف) وكذلك دلالة عدم استجابة الكلب للمؤثرات (وهي الغرض من التشبيه في موضع سورة الأعراف، وهي صفة أصحاب الكهف والكلب في عزلتهم التي كانوا عليها) فاسم (كلب) لازمته دلالات واحدة في كلا الموضعين .

- ناقة : مع (جمل)
- نون : مع (حوت)

(٢) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٧٤

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وصد) ٣ / ٤٦٠

الخـــاتـمـــة

قد كـان باعـثُ هـذه الدراسـة تلـك الملاحظـات المتفرقـة التـي سـبقتها عـن استعمال القرآن الكريم لعددٍ محدودٍ من الكلمات مع دلالة تلازمها في القران الكريم دون غيره ، وهو ما دفع الدراسة هنا إلى وضع مصطلح لهذه الظاهرة من البيئة البلاغية ، وهو مصطلح اللزوم الدلالي ليكون دالاً على ملازمة (مصاحبة) اللفظ لدلالة ليست من معناه المعجمي ، حيث يُجاور معنى اللفظ دلالة أخرى في جميع المواضع متغايرة المضمون في القرآن الكريم، وقد توجه البحث إلى تطبيق هذه النظرية في مجالٍ دلالي محدد ، اختاره وفقًا لمعيار وضوح معاني ألفاظه في الذهن، وهو مجال أسماء الحيوان ، ليدرس كل اسم منها يرد في القرآن الكريم أكثر من مرة في سياقات متعدّدة المضامين ، مع دراسة مرادفات الاسم ، ويحدد اللزوم الدلالي لكل اسم .

ولم يكن من هدف البحث إثبات وجود اللزوم الدلالي في كل اسم من أسماء الحيوان في القرآن الكريم ، إذ كان هدفه تطبيق هذه النظرية لمعرفة مدى تواجدها في القرآن الكريم وصورة وجودها في السياق ، لكن البحث أسفر عن نتيجة لم يكن يتوقعها الباحث أو يتعمّد إيجادها ، وهى أن اللزوم الدلالي في الأسماء الخاضعة للبحث هنا جاء مع جميع هذه الأسماء ، وبذلك تكون نسبة وجود اللزوم الدلالي في عينة الدراسة (١٠٠ %) والباحث يضع في حُسبانه أن الاتفاق التام على الدلالات الموجودة في كل نص أمر ليس من لوازم البحث الدلالي ، فقد لا يحدث اتفاق على وجود عدد من الدلالات الضمنية أو المستوحاة من السياق في بعض النصوص ، على الرغم من محاولة الباحث استنباط كل الدلالات من قرائن واضحة دون تعسّف في إيجاد هذه الدلالات ، لكن مظنّة عدم الاتفاق أحيانًا على وجود دلالات ملازمة في بعض النصوص لا يغير ما توصّل إليه البحث من وجود ظاهرة اللزوم الدلالي في القرآن الكريم ، وما توصّل إليه البحث من دلالات ملازمة للعديد من الأسماء التي لم تخضع فيما قبل للبحث عن اللزوم الدلالي لها ، فقد لا يكون هناك اتفاق على وجود جميع الدلالات الملازمة للأسماء ، لكن ذلك لا يمنع من الاتفاق على وجود الظاهرة بصورة كبيرة أو وجود جلّ هذه الدلالات الملازمة خاصة الصريحة منها في السياق.

والبحث عن اللزوم الدلالي يعتمد على القراءة العَرْضِيّة (الأفقية) للنصوص ، وذلك بقراءة نصوص متعددة في المضمون مشتركة في استعمال لفظ واحد ، وهى طريقة أخرى في القراءة تختلف عن قراءة النصوص قراءة رأسية داخل تتابع

سياقات السورة الواحدة ، وكذلك تختلف عن قراءة نصوص الموضوع الواحد وهو ما يعرف بالتفسير الموضوعي ، فهذه القراءة في البحث عن اللزوم الدلالي تقرأ نصوصًا لا تشترك في موضوع واحد ، وهو ما جعلها تصل إلى معطيات دلالية قد لاتصل إليها طريقة أخرى في قراءة النصوص ، وذلك لأن هذه القراءة تتميز بأنها لا تنظر إلى النص من خلال موضوعه الرئيسي ، وهو ما يمكّنها من توجُّه رؤيتها في النصوص إلى الدلالات الجزئية صريحة أو ضمنية دون أن يأخذ الموضوع الرئيسي جزءًا من حيز تركيزها في قراءة النصوص ، وهذا هو السبب في أننا قد نقرأ النص أحيانًا دون التوصّل إلى دلالات جزئية أو عميقة يريد النص إبلاغها ، إذ تقرأ عيوننا النص وهى مشبّعة بالموضوع الرئيسي للنص أو الأفكار المتتابعة في سياقات السورة الواحدة ، فإذا ما أزحنا من حيز القراءة الأفكار المتتابعة في السورة والموضوع الرئيسي للنص ظهرت أمامنا بجلاء أكثر العديد من دلالات النص ، والتي تتضح لنا أكثر فأكثر بوجودها متكررة في النصوص الأخرى المشتركة في لفظ واحد .

فمثلاً لم يكن يظهر لي كقارئ للقرآن الكريم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان:١٩]

أن خفض الصوت من الزينة ، فقد كان يتصدّر فهمي للآية في السياق الأمرُ بتطبيق نصائح لقمان عليه السلام بإقامة الصلاة والتواضع والاعتدال في المشية وخفض الصوت ، لكن عند معاودة قراءة الآية قراءة عَرْضِيّة مع نص آخر يستعمل اسم (حمير) تظهر دلالة جزئية يصرّح بها النصّ الآخر ، يقول تعالى : ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ [النحل:٨]، فالآية هنا تصرّح بدلالة الزينة ، وهذه الدلالة الصريحة في سورة النحل موجودة ضِمْنًا في آية سورة لقمان التي تأمر بخفض الصوت ، لأن خفض الصوت من الزينة ، فالقراءة العرضية (الأفقية) للنصوص بحثًا عن اللزوم الدلالي تكشف عن العديد من الدلالات التي قد لا تتضح من قراءة أخرى ، ولذلك ترى الدراسة هنا أهمية هذه القراءة (قراءة جميع النصوص المشتركة في استعمال لفظ واحد) في فهم معاني الألفاظ وتحديد

استعمالاتها وفى تفسير نصوص القرآن الكريم ، وإن لم تكن تلك القراءة بغرض البحث عن اللزوم الدلالي .

والبحث بما بذله من جهدٍ ، وبما توصّل إليه من نتائج ، يجد نفسه متعطّشًا إلى مزيدٍ من العطاء البحثي في تطبيق هذه النظرية ، ولذا يأمل أن تواصل الدراسات البلاغية البحث عن اللزوم الدلالي في بقية ألفاظ القرآن الكريم ، وأن تتوجَّه دراسات أخرى إلى مُراجعات للمعطيات الدلالية ، فهذا البحث من الممكن أن يكون خطوةً أولى كقاعدةٍ ينطلق منها البحث عن اللزوم الدلالي في القرآن الكريم في كافة ألفاظه ، وتركيباته ، وأساليبه ، في سلسلة من الدراسات البلاغية الدلالية التي تعكُفُ على تحليل الآيات بقراءةٍ أعمقَ وأفقٍ أرحبَ يرى البعيد والقريب من معاني النص القرآني ، لعلّها تُسْفِر يومًا عن معجم للزوم الدلالي في القرآن الكريم .

وإذا كان هذا البحث قدّم للدرس العلمي جُهدًا ، وتَوصّل إلى نتائج ، وتَطلَّع لآمال؛ فإنّي لا أبرح دفتيه إلا وأنا أجزم أنه أسدى إليَّ خيرًا كثيرًا ، فإذا ما كنت قبل البحث على إيمانٍ بأنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى ، فإنّ ما عايشته من درسٍ منهجي في تحليل آيات القرآن الكريم يُقِرُّ في إيماني المسبق أن القرآن الكريم مُغايرٌ كلام البشر في أسلوبه ، فإعجاز القرآن الكريم البلاغي ليس في أدائه أنماطًا بلاغية يؤدي مثيلها البشر ، كالتشبيه والاستعارة ، وإنّما في أدائه للمعاني واستعماله للألفاظ بأسلوب يَعجز عن محاكاته البشر ، كما برهن لي البحث على أن فيض القرآن الكريم ما زال منهمرًا ، وأنّ في أسرار بلاغته ـ التي ما فتئت تتكشف ـ بحثًا سيظلّ خصبًا متجدّد الثمار ، وأنّ لوك جَنْي الماضي في التفسير والبلاغة ركون مستريح إلى إرثٍ عظيمٍ ، لن يمنع من تدفق الخير الوفير إذا ما جدّت العقول المغامرة في البحث وأراد الله تعالى لها الخير .

اللّهم إنّي أسألك عفوًا واسعًا ، وعملاً متقبّلاً ، وأجراً مضاعفًا ، ودعاءً مستجابًا، وسعيًا خالصًا لوجهك الكريم ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وشفيع الموحدين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد سامي عبد السلام حسانين

ملحق (١) جدول يوضح الترابط الدلالي بين السور التي ورد فيها اسم (قردة) وطريقة تكوين اللزوم الدلالي

السورة	(١) دلالة العقوبة	(٢) دلالة اعتداء اليهود	(٣) دلالة المحرم عند المسلمين	(٤) دلالة الجمع بين مكاني التحريم	اللزوم الدلالي لاسم (قردة)
البقرة	مسخ اليهود قردة	الاعتداء يوم السبت دون تفصيل في نوع الاعتداء	المحرم فعله وقت الإحرام دون ذكر الصيد	تعليل التحريم وقت الإحرام بوصف (حاضري المسجد الحرام) بإضافة اسم الفاعل (حاضر) لمكان التحريم	تحريم الصيد في وقت محدد
الأعراف	مسخ اليهود قردة	تفصيل الحديث في نوع الاعتداء يوم السبت بالحديث عن القرية حاضرة البحر		تعليل التحريم يوم السبت بوصف (حاضرة البحر) بإضافة اسم الفاعل (حاضرة) لمكان التحريم	تحريم الصيد في وقت محدد
المائدة	مسخ اليهود قردة		النهي عن صيد البر وقت الإحرام وإباحة صيد البحر	ذكر الكعبة البيت الحرام وهي مكان تحريم الصيد وقت الإحرام ، مع ذكر البحر المباح صيده للمسلمين وقت الإحرام وهو مكان تحريم الصيد يوم السبت عند اليهود	تحريم الصيد في وقت محدد

ملحق(٢): معجم اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان وأعضائه في القرآن الكريم

١	إبل	دلالة توجه الخطاب لمشركي العرب الرافضين لرسالة محمد ﷺ ودلالة الطعام الممتنع أكله في الدنيا (وذلك لأنه طعام حرمه المشركون على أنفسهم في الدنيا ، أو لأنه طعام الضريع وهو شوك وسم) وهو طعام لا ينفع المشركين في شيء ، كما لازم اسم (إبل) التعريف بأل ، وأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يراد به الإنكار عليهم مع التعجب من تحريمهم نوعًا من الخلق الواحد ، الذكر أو الأنثى ، وبهما يحدث خلق الإبل، أو التعجب من كيف صنع هذا الخلق الذي يتسبّبُ في بقائه أن جعل الله منه الذكر والأنثى ، فالموضعان يتحدثان أيضًا عن كيفية الخلق .
		بُدْن : الدلالة على مكانة المسمّى وتعظيمه (مَلِك مصر- الهدي) ودلالة ضخامة الجسد وتوظيفها لأغراض دلالية أخرى (الثراء والسن والغرق - الحث على الانفاق) والدلالة على الانقياد لموضع مفارقة الحياة (الغرق - النحر) ودلالة الانتفاع بالجسد بعد مفارقة الحياة (لتكون لمن خلفك آية - الأكل من لحمه وإطعام الفقراء) . بعير : دلالة الزاد ، ودلالة التنقل والترحال ، ودلالة عبور بني إسرائيل وتكوين الدولة العبرية ، ودلالة تعبير الرؤيا ، وذلك لأن هذه الدلالات بينها وبين مادة (بعر) مناسبة . جمل: دلالة وعيد الكفار بعذاب الآخرة ، ووصفهم بالمكذبين والمجرمين، وجاء مع أسلوب التهكم والتحقير ، وأسلوب التشبيه الذي يعتمد على وصف الجمل بالضخامة . ناقة : دلالته على ناقة صالح عليه السلام .
٢	بدن	مع (إبل)
٣	بعير	مع (إبل)
٤	بقرة	دلالة الحديث عن بني إسرائيل ، ودلالة الانتقال من اليسر والإطلاق (ذبح أية بقرة ، إباحة أكل البقر ، سنين الخير) إلى التضييق والتشدّد (صفاتٍ للبقرة التي تذبح ، تحريم جزء من البقر، سنين شداد) ودلالة وجود أمر خفي (قاتلُ النفس ، ما حرمه الله من الأنعام ، الرؤيا التي تنبئ بالمستقبل) ويظهره الله تعالى على يد أحدٍ من أنبيائه .
		عجل : عدم نفع العجل لمن قُدِّم إليهم ، ووجود أثر للرسول على العجل ، وله صلة بالملائكة، وتقديم العجل لضيوف على المكان ، وتصوير العجل في صورة مبهرة ، ووصفه بأنه جسد بلا روح ، وصفة العجلة (السرعة) للنبي المذكور في السياق وليست وصفًا للعجل .
٥	ثعبان	دلالة قلب عصا موسى عليه السلام ثعبان مبين في مقام إظهار الآيات لفرعون ومن معه، وهو ما يناسب وصف الثعبان بالضخامة .
		حيّة : دلالة قلب عصا موسى عليه السلام حية عندما ناداه الله تعالى بالوادي المقدس فهي في مقام تعليم الله تعالى لموسى الآيات وإظهارها دون خوف .
٦	جراد	توجيه الخطاب للكافرين ، وإرسال الآيات الحسية المشاهدة وادّعاء الكافرين أنها سحر ، و معرفة الداعي إلى الحق واللجوء إليه ، وعقوبة الغرق بالطوفان وحدوثه من جهتين ، وإبقاء آية بعد الإهلاك تدل عليه ، وصفة الانتشار والتجرّد من النعيم والزينة ، ودلالة اسم السورة على مضمون الموضع الآخر.
٧	جمل	مع (إبل)

٨	جياد	مع (خيل)
٩	حمار	دلالة أداء الحمار ـ أو من هو مثله ـ عملاً ليس له في الأصل ، وجاء في ثلاث صيغ لازمت كل صيغة منها دلالة ، فصيغة المفرد (حمار) جاءت مع إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث والتي تؤكد قرب الموت والبعث منهم ، وصيغة (حُمُر) جاءت مع نفور الكفار من الوحي ، وصيغة (حمير) جاءت مع الزينة وانتقال الإنسان من مكان إلى آخر.
١٠	حوت	دلالة نفاد الصبر لوجود دافع قوي ، وهو ما يترتب عليه اللوم والمؤاخذة، حيث استعمله القرآن الكريم طعامًا لموسى عليه السلام في رحلته للخضر التي أظهرت له عجزه عن شديد الصبر ، وحِوَاءً ليونس عليه السلام إذ ذهب مغاضبًا فقدَ صبره ، وصيدًا شُرَّعًا يوم السبت لم يصبر على فواته أهل القرية .
		نون : إذا كان اسم (حوت) لازمته دلالة نفاد الصبر واللوم عليه ، فإن اسم (نون) لازمته دلالة التشريف ، سواء كان من ذكره في مقام الثناء على يونس وذكر تسبيحه، أو من قسم الله تعالى باسم (نون) .
١١	حيّة	مع (ثعبان)
١٢	خنزير	دلالة الحديث عن بغي اليهود ، وأكل الحرام ، والافتراء على الله تعالى في أحكامه وحدوده ، فاسم (خنزير) جاء في أربعة مواضع في تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين ، وقد اقترن في هذه المواضع بالحديث عن اليهود وأكلهم الحرام بالكذب على الله تعالى وتحريف آياته ، وجاء اسم (خنزير) في الموضع الخامس في بيان عقوبة فئة من اليهود لأكلهم السحت وذلك بأكلهم المال الحرام من تحريف آيات الله تعالى وأحكامه، فمع اختلاف المضامين يأتي لزوم دلالي واحد ، إذ لا توجد علاقة في الأصل بين الحديث عن تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين ، والحديث عن اليهود وأكلهم الحرام ، وقد كانت عقوبة فئةٍ منهم أن جُعلوا خنازير لأكلهم الحرام .
١٣	خيل	دلالة أداء عمل نفسي (الزينة ، الرعب ، الغواية) ولم يوصف حال كونه في ساحة القتال يؤدي دوره في الإقدام والاعتراك مع العدو ، وجاء مع اسم خيل دلالة وجود سبيلين متقابلين (زينة الدنيا وما عند الله تعالى من جنة ، سبيل القصد المعتدل وسبيل الجور ، الحرب والسلم ، النصر بقتال والنصر بالحصار دون القتال ، احتناك الشيطان أتباعه من ذرية آدم وعدم وجود سلطان له على عباد الله تعالى) وكذلك جاء اسم (خيل) مع حديث السياق عن الملائكة بوصف نصرتهم للمؤمنين، وتأييد الله تعالى لعباده برسله من الملائكة. وتنوّعت الصيغ التي ورد بها الاسم وجاءت كل صيغة مع دلالة تختصّ بها عن بقية الصيغ ، وذلك كما يلي: ١ـ صيغة المفرد المجرور المعرف بأل (الخيل) : يميز هذه الصيغة أنها جاءت بوصف الخيل للزينة وللرباط مع حديث السورة عن غزوة بدر . ٢ـ صيغة المفرد المجرور النكرة (خيلٍ): وجاءت هذه الصيغة في سورة الحشر مع الحديث عن غزوة بني النضير، مع وصفها بصفه سلب (فما أوجتفتم عليه من خيل) فهذه الخيل توصف بعدم أداء العمل الذي كانت معدّة من أجله ، كما اختصت هذه الخيل بتواجدها في غزوة بلا قتال . ٣ـ صيغة المفرد المجرور المضاف للضمير (بخيلك) : وجاءت هذه الصيغة بوصفها خيل الشيطان ، فهي في سياق استعمالها في غواية بني آدم وعداء الشيطان لهم. ٤ـ صيغة المفرد المنصوب المعرف بأل (الخيلَ): جاءت مع وصف استعمال الخيل للركوب والزينة دون أن تتحدث السورة (سورة النحل) عن العداء والقتال . فيلاحظ أن صيغة المعرف بأل المجرورة (الخيل) تشترك مع صيغة المعرف بأل

		المنصوبة (الخيلَ) في وصفها بصفةٍ محببة (الزينة والرباط) مع تميز الصيغة التي في موقع الجر بمجيئها في سورة تتحدث عن غزوة بدر التي دار فيها القتال، أما الصيغة التي في موقع النصب فقد جاءت دون حديث السورة عن القتال ، وكذلك يلاحظ أن الصيغ التي جاءت في موقع الجر (الخيل ، خيلِ ، بخيلِك) جاءت مع وجود دلالة العداء بين المسلمين وغيرهم ،وجاءت صيغة (الخيلَ) المنصوبة من غير وجود دلالة العداء، وتميزت صيغة النكرة (خيلِ) بالحديث عن غزوة لا قتال فيها ، كما تميزت صيغة (خيلِك) بالإضافة إلى الشيطان واستعمال الخيل لغواية المؤمنين ، فهو خيل غير مشاهد لنا مثل بقية الخيل في المواضع الأخرى .
		جياد : دلالة استعمال الجياد أداة لمُلك سليمان عليه السلام وهو المُلك الذي اتسم بمظاهر القوة والقدرة. ولم تكن للجياد في ذاتها أثر نفسي عند سليمان عليه السلام، ولم يكن شغوفًا بها أو بزينتها ، وإنما أراد بها الجهاد في سبيل الله تعالى ، فلم يأتِ اسم (جياد) مع دلالة أداء عمل نفسي ، كما لا نجد في الآيات دلالة وجود سبيلين متقابلين كما هو موجود مع اسم (خيل). عاديات : وصف الخيل حال الغزو والقتال .
١٤	ذراع	دلالة القيد المكاني ، والشعور بالخوف ، وجاء اسم (ذِرْعًا) لدلالة القيد المعنوي والشعور بالخوف .
١٥	طائر	صيغة الجمع (طير) تلازمها دلالة الصفات المحمودة للطير من تسبيح ومناصرة للرسل ومعاداة للكافرين ، أما صيغة المفرد (طائر) فتلازمها دلالة كتابة العمل الحسن والعمل السيّئ والمجازاة عليه ، وحديث السياق عن المكذبين الذين سيُلزَمون بعملهم ، فعملهم هذا هو طائرهم الذي يصعد للسماء وينزل عليهم بالجزاء . وجاءت أسماء (هدهد ، غراب ، سلوى) في قصص تدل على الصفات المحمودة للطير ، ويدل كل اسم منها على أحداث القصة الوارد فيها ، فالهدهد يدل على الهداية والهدية ، والغراب يدل على غرابة قتل الإنسان لأخيه ، والسلوى يدل على الكشف .
١٦	عجل	مع (بقرة)
١٧	عاديات	مع (خيل)
١٨	غنم	دلالة التشريع لبني إسرائيل (بتشريع ما يحرم أكله من الغنم ، وتشريع موسى الذي أنزلت عليه التوراة ، وتشريع داود وسليمان) ودلالة التحوّل من صورة مقبولة معتادة إلى صورة مرفوضة مستنكرة (بتحوّل الشحم المتروك أكله إلى مادة ذائبة تباع ويأكل ثمنها ، وتحوّل العصا التي يمشي بها موسى على الغنم إلى حية يخاف منها موسى والغنم ، وتحوّل الحرث بثماره النضرة إلى نفش كالقطن المنفوش) ودلالة وجود عنصرين مختلفين يجتمعان في شيء واحد (باجتماع المباح من اللحم والشحم مع المحرم من الشحم في الذبيحة الواحدة ، واجتماع صفة الجماد اليابس مع صفة الحياة والحركة في العصا ، أو اجتماع النورانية مع طبيعة اليد البشرية ، واجتماع الطعام المباح رعيه للغنم مع الطعام غير المسموح برعيه) ودلالة وجود حكمين أي طريقتين أو شريعتين لنبيين ، يوصف أحد الحكمين باليسر ، والآخر بالشدة (التشديد والتضييق في شريعة اليهود والتيسير في شريعة الإسلام ، الشدّة في طريقة موسى واللين في طريقة هارون ، الشدّة في حكم داوود والتيسير في حكم سليمان) فهناك طريقتان مختلفتان في الحكم مع أن كل حكم منهما صواب وينسب لنبي من أنبياء الله تعالى .
١٩	قردة	تحريم الصيد في وقت محدد ، مع الاشتراك في وصفٍ واحدٍ لمكان التحريم والنهي

		عن الصيد بفعل التعدي، حيث يجمع اسم (قردة) بين صورتي التحريم ، وهما تحريم صيد البحر يوم السبت وتحريم صيد البر وقت الإحرام ، عن طريق وصف عقوبة من خالف التحريم الأول وهي المسخ قردة ، ليكون هذا الجمع بمنزلة التشبيه بين الحُكمين غرضه الوعيد لمن خالف هذا التشريع ، كما يفيد وجود أصول واحدة لأحكام الشرائع السماوية مع اختلاف فروعها (أشكال تطبيق الأحكام التعبدية) لتتميز كل شريعة عن الأخرى .
٢٠	كلب	دلالة إقامة الحجة على اليهود بإنزال آيات تخبرهم قصص السابقين التي لديهم دراية بها، ودلالة ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر ، وصورة بسط الكلب لعضو من أعضائه ، ودلالة افتراش الأرض (التي جاءت للرجل الذي يشبه الكلب في سورة الأعراف ، وجاءت للكلب في سورة الكهف) وكذلك دلالة عدم استجابة الكلب للمؤثرات (وهي الغرض من التشبيه في موضع سورة الأعراف ، وهي صفة أصحاب الكهف والكلب في عزلتهم التي كانوا عليها) فاسم (كلب) لازمته دلالات واحدة في كلا الموضعين .
٢١	ناقة	مع (جمل)
٢٢	نون	مع (حوت)

ثبت المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم .

١ – الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (١٢٧٠ هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت .

٢- البخاري ، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) : صحيح البخاري ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ-٢٠١١م

٣ – الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩ هـ) : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م

٤- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٢٥ هـ) :

- البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

- الحيوان ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية .

٥- د. حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٦ – الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر (٦٠٤ هـ) : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٧- الراغب ، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (٤٠٣هـ) : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .

٨– الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤ هـ) : البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

٩– الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت .

١٠– أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢ هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

١١ – السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، د . ت .

١٢- د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني :

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م .

ـ دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في توظيف اللغة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

١٣ – عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (٤٧١هـ):

دلائل الإعجاز ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م .

١٤– الكاشاني ، كمال الدين عبد الرازق بن محمد (٧٣٠ هـ) : اصطلاحات الصوفية ، تحقيق: د.عبد الخالق محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

١٥ – ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (٧٧٤ هـ) :

ـ تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمد ناصر الألباني ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م.

ـ قصص الأنبياء ، تحقيق: محمد عبد الملك الزغبي ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

١٦ – محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م .

١٧ـ مسلم ، أبو حسن بن الحجاج بن مسلم (٢٦١ هـ) : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

١٨ـ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١ هـ) : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، طبعة بولاق ، د . ت .

١٩ـ النوَوي ، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦ هـ) :

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
إبل	١٥
بدن	٢٠
بعير	٢٥
جمل	٢٦
ناقة	٣١
بقرة	٣٣
عجل	٣٩
ثعبان	٤٧
حية	
جراد	٥١
حمار	٥٩
حوت	٦٧
نون	٧٣
خنزير	٧٥
خيل	٨٣
جياد	٩٤

عاديات	٩٥
ذراع	٩٧
طائر	١٠٣
غنم	١٢٥
قردة	١٣٥
كلب	١٤٣
الخاتمة	١٤٩
ملحق (١) جدول توضيحي للزوم الدلالي لاسم (قردة)	١٥٢
ملحق (٢) معجم اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان وأعضائه	١٥٣
ثبت المصادر والمراجع	١٥٧
الفهرس	١٥٩